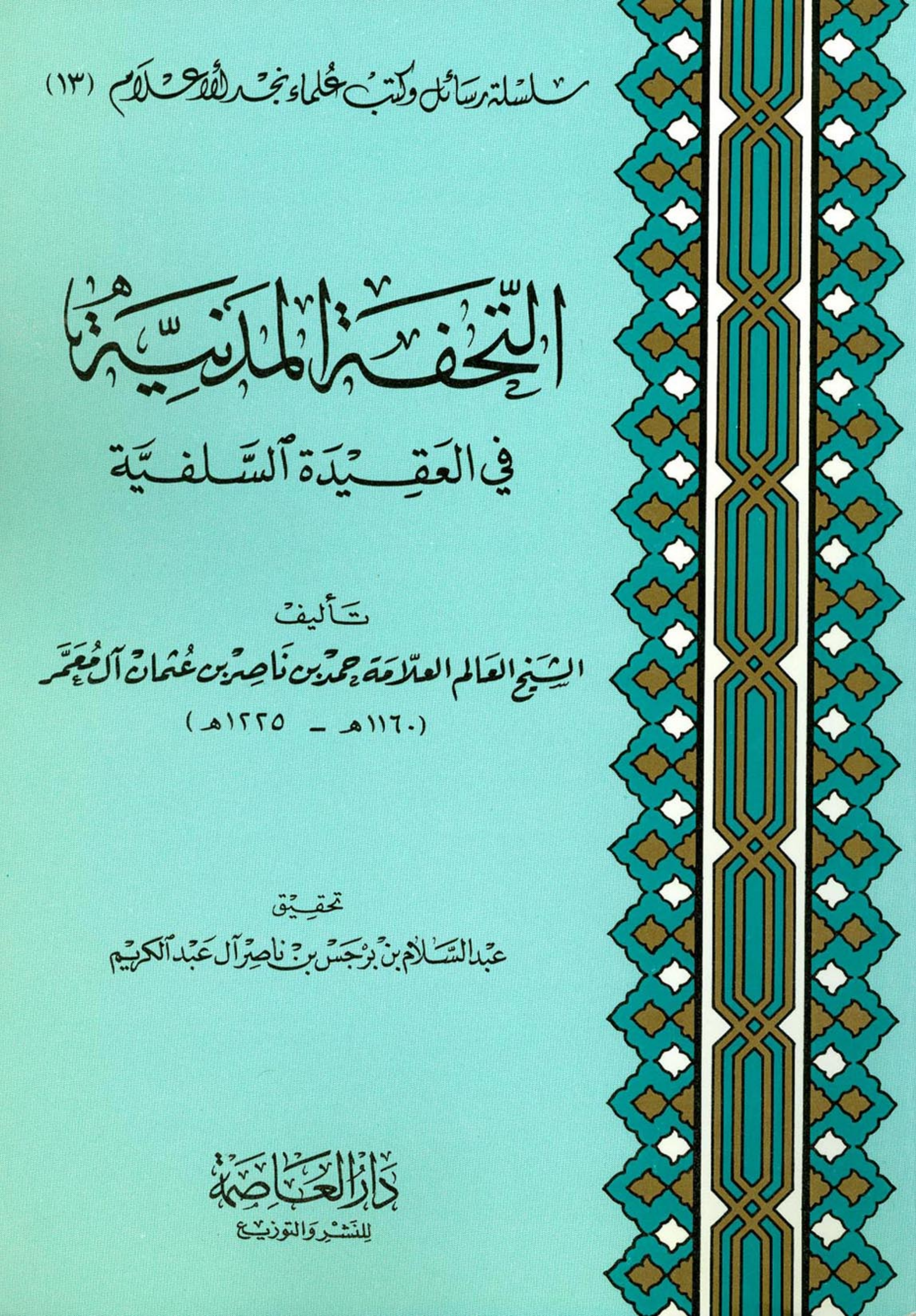


سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام (١٣)

التحفة المدنية

في العقيدة السلفية

تأليف

الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر

(١١٦٠هـ - ١٢٢٥هـ)

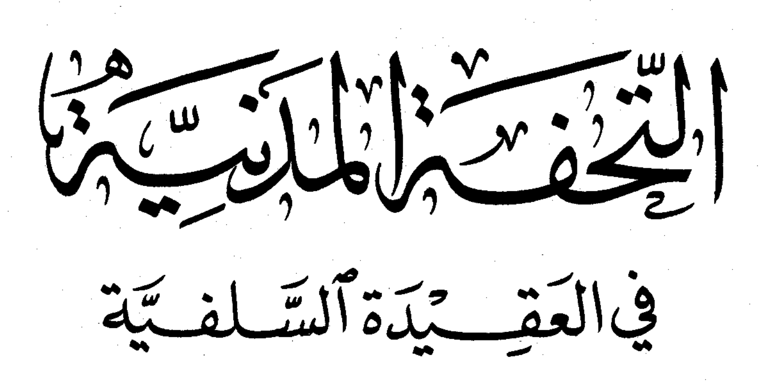
تحقيق

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام (١٣)



تأليف

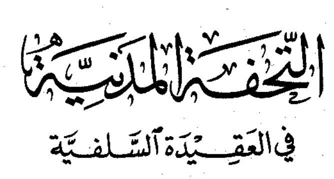
الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر

(١١٦٠هـ - ١٢٢٥هـ)

تحقيق

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم




التحفة المدنية
في العقيدة السلفية

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه.

أما بعد:

فهذه رسالةٌ شَرَحتْ اعتقاد أهل السنَّة والجماعة في باب «الأسماء والصفات» حرَّرها الشيخ حمد بن ناصر بن مُعَمَّر؛ إجابةً عن سؤالٍ بُعِثَ إليه من «المدينة النبويَّة» يطلبُ فيه السائِلُ: الإِفْصَاحَ عن معتقدِ الشيخِ محمد بن عبد الوهاب، ومعتقد تلاميذه مِنْ بعده؛ في أسماءِ الله تعالى، وصفاته.

وقد سَلَكَ الشيخُ حمد بن معمَّر في تقريرِ هذا المُعْتَقَدِ؛ مَسْلَكَ أهلِ العلم، فبناهُ على أَعْظَمِ مقولٍ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ ومعقولٍ:

بناه على كتاب الله تعالى.

وأقوالِ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

وصحابته الأخيار.

ثم ما أجمعَ عليه السَّلَفُ الصالحُ.

فجاء هذا المُعْتَقَدُ كالشَّمْسِ ضياءً، وكالقَمَرِ جمالاً. يَفْخَرُ به كلُّ سلفيٍّ، وَيُقَوَّمُ به من اعوجَّ عن المنهج المستقيم في هذا الباب ـ إن شاء الله تعالى ـ نسأل الله أن يَعُمَّ بنفعه الجميع.

وقد جاءت هذه الرسالةُ الأُوْلى مِنْ نوعها مِنْ بين الرسائل التي سبق إصدارها

تحت هذه السلسلة المباركة «سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام» إذْ جميع الرسائل السابقة تتحدَّث عن تقرير توحيد الإلهية، والردِّ على من حاد وانحرف فيه؛ ببيان خطئه، وكشفِ شبهته، ودحض حجَّته.

ولقد نفع اللَّهُ بهذه الرسائلِ نفعاً عظيماً في السودان، ومصر، والجزائر، وأندونيسيا، وغيرها من البلاد، فللَّه الحمد والشكر أولاً وآخراً.

أما هذه الرسالة فإنها عالجت جانباً آخر من جوانب التوحيد، ألا وهو «أسماء الله وصفاته» وسيتبعها في هذا الباب رسائل أخرى ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وإن كان مِنْ شيءٍ أحبُّ إِيْصَالَهُ إلى قرَّاء هذه السلسلة؛ فإنما هو الوصيةُ بهذا المنهج السَّليمِ، الذي رَسَمَهُ الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب ـ رحمه الله ـ وسار عليه علماءُ الدعوةِ، فإنَّه منهجٌ سلفيٌّ خالصٌ، لم تُدَنِّسه البدعةُ، ولم يُلَوِّثْهُ التَّعَصُّبُ، ولم تُمازِجْهُ أغراضٌ دُنْيَوِيَّةٌ:

فهو في باب الأسماء والصفاتِ كاملٌ، قد استمدَّ كماله من الكتاب والسنة.

وهو في باب الإلهية كاملٌ، كذلك.

وهو في باب البيعةِ، والسمع والطاعة لولاة الأمر أَبْراراً كانوا أو فجَّاراً؛ كامِلٌ استمدَّ كمالَهُ: من الكتاب والسنّة والنزاهةِ من الأغراض والأطماع المادِيَّة، والتجرُّدِ من العواطف الكاذبة، التي لا توافق كتاباً ولا سنة.

وهو في باب الفقهيات، يدعو إلى التحرُّرِ من قيود التَّعَصُّبِ المقيتِ، والأخذِ بالدليل الشرعيِّ، وإنْ خالَفَهُ مَنْ خالَفَهُ من الكبار.

ويكفي فخراً لهذا المنهج: شهادةُ المنصفين من المسلمين والكافرين؛ له بإحياءِ هذه الأُمَّةِ بعد موتها، وإعادة سيادتها بعد خفائِها.

لقد أقامَ هذا المنهجُ دولةً إسلاميَّة في بضع سنواتٍ، لا لقُوَّةٍ عسكريَّة، ولا لتحزُّباتٍ سريَّةٍ؛ وإنما لصفاءِ المعتقد، وصدقِ المَقْصَدِ، ووضوح المنهج.

لذا فإني أدعو شبابَنا الصالحَ إلى الالتزام بهذا المنهج السلفيِّ، المبنيِّ على الاتباع الكامل، القائم على تصحيح العقائد، وحثِّ الناس على العَمَلِ بالشريعة الإسلامية.

وليحذروا كلَّ الحذر من مَغَبَّةِ هذه الدَّعوات الوافِدَةِ، التي تقومُ على (الفِقْهِ السِّياسي) و (العاطفةِ) المكذوبة، وما إلى ذلك من المخالفاتِ للسَّلَفِ في المُعْتَقَدِ، والمَنْهَجِ . . .

حمانا اللَّهُ وإياكم من هذه التَّحزُّباتِ السِرِّيَّةِ، والمناهِجِ البِدْعيَّة، واللَّهُ الموفق، والهادي إلى سواء الصراط.

كتبه

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

٢٥/١٠/١٤١٢هـ

نسخ الكتاب، وتوثيق نسبته إلى المؤلِّف

لا ريب أن الكتاب من تأليف الشيخ حمد بن ناصر بن مُعَمَّر.

يَدُلُّ على ذلك:

أولاً: وجود ذلك على طُرَّةِ مخطوطتين من الكتاب، كما سيأتي.

ثانياً: إثباتُ الشيخ عبد الرحمن بن قاسم لهذه الرسالة في كتابه «الدُّرر السنيَّة» الجزء الثالث، صفحة (٢٠٧ ــ ٢٦٢) جازماً بنسبتها إلى الشيخ ابن معمَّر.

ثالثاً: إثباتُ الشيخِ: عبد العزيز بن مَرْشَدٍ ــ حفظه الله تعالى ــ أنَّها من تأليف الشيخ حمد بن معمَّر، كما حَدَّثني بذلك، والشيخُ عُمْدَةٌ في أخبار وتآليف أئمة الدعوة.

رابعاً: إثبات الشيخ سليمان الصنيع ــ رحمه الله ــ أنَّها للشيخ ابن معمَّر، وقد قال ابن بسَّام عنهُ: (كان آيةً في معرفة أسماء الكتب، والمؤلفين والمخطوطات، ومحالِّها، والمطبوعات، وأنواع طباعتها، وكل كتاب وما يختصُّ به من العلم والبحث، وأصله الذي اختصر منه. . .) إلخ.

هذا وقد وُجِدَ خطأٌ في نسبة هذه الرسالة، منشؤه وجود نسخة خطيَّة منها في خزانة الرباط برقم (٣٠ك) كما في الأعلام للزركلي (١٢٢/٧) بعنوان: «إثبات الصفات». منسوبة إلى «محمد بن ناصر الحازمي» أحد علماء اليمن، متوفى سنة ١٢٨٣هـ.

وبناءً على هذا الخطأ ــ كما سيأتي بيانه ــ عزا كلٌّ من:

صديق حسن خان، كما في أبجد العلوم (٣/٢٠٠) والزركلي في «الأعلام» (١٢٢/٧) وعنه رضا كحالة في معجم المؤلفين (٧٢/١٢).

هذه الرسالة إلى الحازمي.

وعن هذه النسخة طبعت هذه الرسالة في الهند بالحجر منسوبةً إلى الحازمي.

وهذا خطأٌ لأمور:

الأوَّل: ما سبق من توثيق نسبة هذه الرسالة للشيخ ابن معمَّر.

ثانياً: أن المؤلف يقول «شيخنا محمد بن عبد الوهاب» ولا يعرف للحازميِّ تتلمذٌ على الشيخ محمد، بل بين وفاتيهما سبعةٌ وسبعون عاماً، والشيخ في نجد، والحازمي في اليمن.

ثالثاً: أن الشيخ سليمان الصنيع وقعت في يده نسخة من طبعة الهند، مكتوب عليها «تأليف الحازمي» فصحَّح ذلك بقلمه، ونسبها إلى ابن معمَّر، أفاد ذلك الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف في كتابه «دعاوى المناوئين» ص ١١٨.

رابعاً: أن نسخة الرِّباط، مشتملة على رسالتين، إحداهما هذه «إثبات الصفات» والثانية «مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد» وكلاهما منسوبٌ إلى الحازمي هذا. وهذا خطأٌ، لأن هذه المشاجرة ــ بعد الاطلاع عليها ــ تبيَّن أنها: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب» وهذه لابن معمَّر قطعاً، وقد سبق أن نشرتها في هذه السلسلة برقم (٢) فهذه قرينة تدلُّ على أن الوَهْمَ حصل في كلا الرسالتين: الصفات، والمشاجرة. والله أعلم.

* أمَّا النسخ التي اعتمدتها في تصحيح الكتاب فهي:

١ ــ نسخة ضمن مجموع يحمل رقم (٨٦/٤٧٢) في المكتبة السعودية،

وقد كتب على طُرَّة المجموع: «ردّ ابن معمَّر لأهـل المدينـة» ثم ذُكِرَ بقيَّـةُ الرسـائِل المشتمل عليها المجموع.

وفي إحـدى رسائـل المجموع كُتِبَ تـاريخ الفـراغ من نسخها، وهـو: «يـوم الخميس، تـاسع عشـر، شعبان، ١٢٥١هـ» فـدلّ على أن هذا المجمـوع كتب في هذه السنة.

وَكُتِبَ على أَوَّلِ صفحـة من رسـالـة ابن معمّـر بخطٍّ حـديث، كُتِبَ سنـة (١٣٣٨هـ):

«النسخة في الصفات، تصنيف حمـد بن ناصـر بن معمَّر ــ رحمـه الله ــ وقد أوقف هذا الكتاب ــ وهو هذا المجموع ــ محمد بن صالح بن شلهـوب، لوجـه الله تعالى على طلبة العلم الشريف، وَجَعَلَ النَّظر للشيخ محمـد بن عبد اللطيف، وقفـاً صحيحاً. . .».

وهذه النسخة كاملة، والإشارة إليها بحرف: (أ)، وبينهـا وبين الدرر تشـابهٌ كبير، فلعلَّ طبعة الدرر عنها.

٢ ــ نسخة محفوظـة في مكتبة الشيـخ عبد العـزيز بن مـرشد، الفضـلُ في استخراجها للشيخ الفاضل: الوليـد بن عبد الـرحمن آل فريَّـان ــ حفظه الله ــ كُتِبَ على طرَّتها:

«هـذا اعتقاد الشيـخ الإمام العـالم العلامـة والحبر البحـر الفهامـة محمـد بن عبد الوهاب أجزل الله له الثواب، ثم اعتقاد شيخنا وقدوتنا حمد بن ناصـر بن عثمان أسكنه الله الجنان ومن سلك مسلكهم، رحمه الله آمين. . .»

وهذه النسخة ناقصة من الأخير، تنتهي عند قوله في هذه الطبعة (ص): «علو الذات، وعلو الصفات، وعلوالقهر والغلبة. وفي منعهم الإشارة».

ولا يعرف ناسخها، إلَّا أنه من تلامذة الشيخ حمد، كما بيَّن ذلك في العنوان.

وإليها الإشارة بـ (ب)، وهي كثيرة الأخطاء الإملائِية.

٣ ـ النسخة المطبوعة ضمن الدرر السنية (٣/٢٠٧ ـ ٢٦٢) وقد قابلنا هذه النسخ، وأثبتنا بعض الفروق.

ثم بعد ذلك وقفتُ على نسختين:

إحداهما: في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحت رقم (٧٨٧) مكتوبٌ على طُرَّتها: «كتاب الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وليس عليها اسم المؤلف، ولا الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وفيها نقصٌ من آخر الكتاب.

الثانية: تَفَضَّلَ بإرسالها إليَّ فضيلةُ الشيخ محمد بن ناصر العجمي ـ حفظه الله تعالى ـ وهي نسخة كاملة، نسخت عام (١٢٢٥هـ) أي في العام الذي توفي فيه المؤلف، وهي بقلم أحد تلامذته، محمد بن حمد بن إبراهيم بن سليمان، محفوظة في الموسوعة الفقهية بالكويت، تحت رقم (٧٢٨) وقد كتب على طُرَّتها:

«التُّحْفَةُ المَدَنِيَّة في العقيدة السَّلَفِيَّة. تأليف الشيخ شيخنا أحمد بن ناصر بن عثمان بن أحمد بن محمد المعمَّري، غفر الله له».

ففي هذه النسخة من الفوائد: إثبات نسبتها ـ يقيناً ـ للمؤلف.

هذا ولم يتسَنَّ لي مقابلة هذه النسخ، وقد تصفحتها فلم أَرَ زيادةً فيها على سابقاتها.

* * *

* أمـا عن عنوان الـرسالـة، فالـظاهرُ أن المؤلِّفَ لم يُسَمِّهـا، ولـذا اختلفت النسخُ في عنوانها، فكلٌّ ناسخٍ يضع عنواناً يرى أنه مناسبٌ لموضوع الرسالة.

ففي النسخة (أ): النسخة في الصفات.

وفي النسخة (ب): اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . .

وفي نسخـة جامعـة الإمـام: الفـواكـه العـذاب في معتقـد الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب.

وفي نسخة الكويت: التُّحْفَةُ المدنيَّة في العقيدة السلفية.

* * *

هذا وقد أكثر المؤلف من النقل عن كتابين، هما:

العُلُوُّ للعليِّ الغَفَّار، تأليف الذهبـي.

واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم.

فاستعنت بهما في مقابلة الكتاب، كما سترى في حواشيه.

وختـاماً أتقـدَّم بالشكـر الجزيـل لمجموعـة من الإخوان تفضّلوا بـإعـانتي في المقـابلةِ، والتصحيـح، وتبييض المســودّة، شكــر اللَّهُ سعيهم، وأصلح عملهم، والله الموفق.

ترجمة المؤلف[1]

هو الإمام العالم العلّامة، الحبر البحر الفهامة، المحقّق المجتهد، الحافظ المتفنن، قامع المشبهين، ورافع راية الموحدين، الشيخ الجليل، المدقق النبيل، حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن حمد [بن عبد الله بن محمد. . . بن حمد][2] حسن بن طوق بن سيف آل معمّر العنقري السَّعدي التميمي النجدي الحنبلي.

وحسن بن طوق هذا هو الذي نزح من «ثرمداء» إلى «ملهم» ثم أتى إلى العيينة وكان فيها آل يزيد من بني حنيفة فاشتراها منهم عام (٨٥٠هـ) واستوطنها هو وأولاده. وما زالت تنمو شيئاً فشيئاً حتى بلغت الذروة ــ بين بلدان نجد ــ في التقدم العمراني وكثرة السكان والحركة التجارية والعلمية لا سيما في زمن الأمير ــ عبد الله بن محمد بن معمر ــ كما قاله ابن بشر في عنوان المجد.

---

(١) مصادر الترجمة:

١ ــ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للقاضي.

٢ ــ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١٢ للشيخ ابن قاسم.

٣ ــ علماء نجد خلال ستة قرون للبسام.

٤ ــ عنوان المجد لابن بشر.

٥ ــ جمهرة الأسر المتحضرة في نجد لابن جاسر.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة من تاريخ ابن بشر (س/١٠٩٦هـ)، وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد للشيخ حمد الجاسر (القسم الثاني ــ ٨٣٤).

وذكر الشيخ الفاضل عبد الله بن بسام ـ حفظه الله ـ في كتابه علماء نجد (١/ ٢٣٩) أن بين المترجم له، وحسن بن طوق قرابة من عشرة أجداد لم يستطع العثور على أسمائهم. هكذا قال.

وقد تقدم في النسب ذكر سبعة بأسمائهم، نقلاً عن ابن بشر وغيره.

ولد هذا العالم الجليل في مدينة «العيينة» سنة (١١٦٠هـ) وكانت يومئذ أكبر مدن نجد، كما أنها بلد عشيرته آل معمّر ـ حكّام العيينة ـ فكان من بيت حكم وإمارة.

ومن المعلوم أن العيينة بعد قيام دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب تأثرت بدعوته، وصار فيها أناس من أنصار منهجه، فنشأ المترجم فيها وأخذ العلم عن علمائها الذين هم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولمّا شب رغب في التزود من العلم فرحل إلى «الدرعية» مقرّ دعوة شيخ الإسلام. ولازم فيها شيخ الإسلام ملازمة الظل، فانتفع بذلك أعظم الانتفاع، كما أخذ العلم عن غيره من علماء الدرعية كالشيخ سليمان بن عبدالوهاب، والشيخ حسين بن غنام.

وثابر على تحصيل العلم بجد واجتهاد، ووافق ذلك منه فهماً جيداً، وذكاء حاداً، وحفظاً قوياً، فبرز في العلوم الشرعية عامة، وأدرك في العلوم العربية إدراكاً جيداً، وبلغ مبلغاً كبيراً حتى صار من أكابر علماء نجد، ومن أوسعهم إطلاعاً، وأطولهم باعاً، وأجوبته أكبر شاهد على ذلك.

قال ابن قاسم: بلغ في العلوم العقلية والنقلية مبلغاً، له اليد الطولي في الأصول، والفروع، والحديث، واللغة العربية، وغيرها، قليل المثل في الديانة والعبادة، جمع أنواع المحاسن والمعالي، قرن بين خلتي العلم والحلم، والحسب والنسب، والعقل والفضل، والتدريس والتصنيف، والفتاوى والنصائح، أوحد

العصر في أنواع الفضائل، مجالسه بالعلم معمورة، بالفقهاء مشحونة، وأوقاته بالخير مقرونة، وأخلاقه بالذكاء مشهورة، اهـ .

قال ابن بسام: فلما بلغ هذا المبلغ الكبير من العلم، جلس للتدريس في مدينة الدرعية الزاهية بالعلماء والآهلة بالطلاب، والمستمعين، فنفع الله تعالى بعلمه خلقاً كثيراً، واستفاد منه جم غفير، فصار من طلابه النابهون[1] ابنه الشيخ عبد العزيز بن معمّر ـ صاحب كتاب «منحة القريب المجيب في الردّ على عباد الصليب» ـ ، والشيخ المحدّث الفقيه العلاّمة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، والشيخ العلاّمة الإمام عبد الرحمن بن حسن، والشيخ المحقق الجليل عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن مشرّف، والشيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانة، والشيخ علي بن حسن اليماني، والشيخ جمعان بن ناصر، وغيرهم من العلماء. كما قصد بالأسئلة والفتاوى من أنحاء الجزيرة العربية فأجاب عنها الأجوبة المحررة السديدة التي تدل على العلم الواسع، والفقه النقي، والباع الطويل في جميع العلوم الشرعية فجاءت في فتاويه ورسائله فوائد زائدة عما كتبه من قبله من الفقهاء تنبىء عن حسن تصرف، وجمال تخريج على كلام العلماء الذين سبقوه، ففتاويه ورسائله لو جمعت لجاءت سفراً كبيراً مفيداً، ولكنها طبعت مفرّقة مع فتاوى ورسائل علماء نجد، اهـ .

وقال محمد بن عثمان القاضي: وكان ذا مكانة مرموقة، وله شهرة بلغت الآفاق، ولكلمته نفوذ، وكان واعظ زمانه، ولمواعظه وقع في القلوب، غزير الدمعة لا تفارق خدّه. . . وكان يعظ الناس أدبار الصلوات في الدرعية وفي الحجاز مدة إقامته فيه، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، والولاة يشدّون من أزره، ونفع الله به أمماً لا يحصون، ومحا بدعاً كانت في الحجاز، فهدم الشريف قباباً كانت على القبور بسبب إرشاداته القيمة، وله هيبة، ولكلامه وقع في القلوب، اهـ .

---

(١) اسم «صار» مؤخّر، والجار والمجرور خبر مقدَّم.

قـال الشيخ ابن بسـام ـ حفظه الله ـ حـدثني وجيـه الحجـاز الشيـخ السلفي محمد بن حسين نصيف قال: حدثني رجل ثقة من آل عطية من أهل جدة عن أبيه، قال: جمعنا في مسجد عكاشة حينما قدم حمد بن نـاصر بكتـاب الصلح بين سعود وغـالب فصعد المنبـر وخطب خـطبة بليغـة تدور حـول تحقيق التـوحيـد وإخـلاص العبادة، ثم حذّر من تـرك الصلوات، وأمر بـأدائها في المسـاجد، ونهى عن شـرب الدخان، وبيعه وتعاطيه، كما أمر بهدم القباب التي على القبور، وأمر بالحضور إلى المسـاجد لسمـاع رسائـل الشيخ محمـد بن عبد الـوهاب فـامتثل النـاس هـذا كله. فصرتَ لا ترى الدخان لا استعمالاً ولا بيعاً، وصارت المساجـد تزدحم بـالمصلين، وهدمت القباب التي على القبور، وصار الناس يحضرون لسماع الدرس، اهـ .

وقد كان موضعَ الثقة من الأمراء، فقد بعثه الإمام عبد العزيز عـام (١٢١١هـ) إلى الشريف غالب أمير مكة ـ وقد تقدم ذكر سبب هذه البعثة وما دار فيها ـ .

ولولا مكانته العلمية، وعقليتـه الراسخـة، ما اختـاره الإمام عبـد العزيـز وأيّده علماء الدرعية على أن يكون السفير الكبير في هذه المهمة العـظيمة، فصـار يجادل العلماء بمذاهبهم، ويرد عليهم كتبهم، وأقوال أئمتهم.

وفي سنـة (١٢٢٢هـ) بعثه الإمـام سعود رئيسـاً لقضاة مكـة المكـرمـة فمكث يقضي، وسدد في أحكامـه، وظل في منصبـه حتى توفـاه الله في العشر الأوسط من ذي الحجـة سنة (١٢٢٥هـ) في مكـة، وصلّى عليـه المسلمـون تحت الكعبـة المشرّفة، ثم خرجوا به من الحرم إلى البياضية، وخرج الإمام سعود بن عبد العـزيز من القصر وصلّى عليه بعدد كثير ودفن في مكة، اهـ . من ابن بشر.

النسخة في الصفات تصنيف حمد بن ناصر بن معمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ما قولكم دام الله النفع بعلومكم في آيات الصفات والأحاديث الواردة
في ذلك مثل قوله الرحمن على العرش استوى وقوله يد الله فوق أيديهم
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا
وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن
الى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه فأفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده
هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه أم تؤولون وابسطوا
الكلام على ذلك وأجيبونا جوابا شافيا تغنموا أجرا وافيا وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. الجواب الحمد لله رب العالمين
قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله
وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة
وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه
وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل
ومن غير تكييف ولا تمثيل بل نؤمن بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ولا نحرف الكلم عن مواضعه
ولا نلحد في أسماء الله وآياته ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه
لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في
صفاته ولا في أفعاله بل يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله

الصفحة الأولى من (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ما قولكم دام الله النفع بعلومكم في ايات الصفات والاحاديث الواردة في ذلك مثل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم وقوله النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن الى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه فافيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه ام تؤلون وابسطوا الكلام على ذلك واجيبوا جوابا شافيا تغنموا اجرا وافيا وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

الجواب الحمد لله رب العالمين قولنا في ايات الصفات والاحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الامة وائمتها من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل

الصفحة الأولى من (ب)



تأليف

الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر

(١١٦٠هـ - ١٢٢٥هـ)

تحقيق

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

ما قولكم ـ أدام الله النفع بعلومكم ـ في آيات الصفات، والأحاديث الواردة في ذلك:

ـ مثل قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥].

ـ ومثل قوله:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح/ ١٠].

وقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»[2].

---

(١) في الدرر: «سئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ـ رحمه الله تعالى».

(٢) حديث متواتر، أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم. وصنَّف الدارقطني في طرقه وأسانيده كتاباً مفرداً، وكذلك صنَّف ابن تيمية ـ رحمهم الله تعالى ـ في شرحه ـ وكلاهما منشور، ولا يخلو كتاب في السنَّة من هذا الحديث.

ـ وقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»[1].

إلى غير ذلك مما ظاهره يُوهِمُ التشبيه؟!

فأفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك؟ وكيف مذهبه، ومذهبكم من بعده؟:

ـ هل تُمِرُّون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه؟

ـ أم تُؤَوِّلون؟

وابسطوا الكلام على ذلك، وأجيبوا جواباً شافياً، تغنموا أجراً وافياً، [وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله، وصحبه وسلَّم][2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر (٤/٢٠٤٥).

(٢) سقط من الدرر.

الجـواب[1]

الحمد لله رب العالمين.

[مجمل الاعتقاد في الأسماء والصفات][2]

قولنا في آيات الصفات، والأحاديث الواردة في ذلك:

ـ ما قاله الله ورسوله.

ـ وما قاله سلف الأمة، وأئمتها، من الصحابة، والتابعين، والأئمة الأربعة، وغيرهم من علماء المسلمين.

فنصف الله تعالى:

ـ بما وصف به نفسه في كتابه.

ـ وبما وصفه به رسوله محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) في الدرر: «فأجاب بما نصه».

(٢) العناوين التي بين معقوفين ـ في جميع الرسالة ـ ليست من أصل الكتاب، وقد وضعناها تسهيلاً.

بل نؤمن بأن الله سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نُحرِّف الكلم عن مواضعه، ولا نُلْحِدُ في أسماء الله وآياته، ولا نُكَيِّف ولا نُمَثِّل صفاته بصفات خلقه، لأن سبحانه لا سَمِيَّ له، ولا كُفْو له، ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيراً.

فهو ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء:

لا[1] في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله:

من غير تكييف ولا تمثيل ـ خلافاً للمشبِّهة.

ومن غير تحريف ولا تعطيل ـ خلافاً للمعطِّلة.

فمذهبنا مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهُويه، وهو اعتقاد المشايخ[2] المقتدَى بهم، كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم. فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع

---

(١) سقطت «لا» من الدرر.

(٢) في (ب): «السلف».

في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة:

قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلَّا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يتجاوز القرآن والحديث.

وهكذا مذهب سائرهم كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى.

ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون[١]، فإنه يصف[٢] الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفياً وإثباتاً، وهم أشد تعظيماً لله وتنزيهاً له عما لا يليق بجلاله.

فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة، لا تُرَدُّ بالشبهات، فيكون رَدُّها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقال: هي ألفاظ لا تُعْقَلُ معانيها، ولا يُعْرَفُ المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلَّا أماني بل هي آيات بينات، دالة على أشرف المعاني وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان

(١) في (ب): «المذكورين».

(٢) في (ب): «فإنهم يصفون».

إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك؛ فكان الباب عندهم باباً واحداً، قد اطمأنت به قلوبهم، وسكنتْ إليه نفوسهم، فأَنِسوا من صفات كماله، ونعوت جلاله، بما استوحش منه الجاهلون المعطلون، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته سبحانه لاتشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول، وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار، لعلمهم بأنه صفة مَنْ[1] لا شَبِيْهَ لذاته ولا لصفاته.

قال الإمام أحمد ــ لما سُئِل عن التشبيه ــ[2]: هو أن يقول: يد كيدي، ووجه كوجهي[3]، فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه، فهو كإثبات ذات ليست كالذوات، وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليسا كالأسماع والأبصار.

وهو ــ سبحانه ــ موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب، وهو ــ سبحانه ــ في صفات الكمال لا يماثله شيء، فهو حي، قيوم، سميع، بصير، عليم، خبير، رؤوف[4]، رحيم.

---

(١) في الدرر: «بأنه سبحانه لا شبيه».

(٢) سقطت «لما سئل عن التشبيه» من (أ)، وفي (ب): «إنما التشبيه أن يقول».

(٣) في (أ): «يد كيد»، وفي (ب): «يداً كيد»، وفي (أ و ب): «أو وجه كوجه».

(٤) في النسخ: «رؤف»، وتكرر مثل ذلك كثيراً في (أ والدرر) في مواضع تالية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان/ ٥٩ والسجدة/ ٤].

وكلم موسى تكليماً، وتجلى للجبل فجعله دكاً.

لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته:

فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحد، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كسمعه وبصره، سمع أحد ولا بصره، ولا كتكليمه تكليم أحد، ولا كتجليه تجلي أحد.

بل نعتقد أن الله ـ جل اسمه ـ في عظمته وكبريائه، وحسن أسمائه، وعلو صفاته، لا يشبه شيئاً(١) من مخلوقاته، وأن ما جاء من الصفات(٢) مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، وليس بين صفاته وصفات خلقه إلَّا موافقة اللفظ، والله سبحانه قد أخبر أن في الجنة لحماً، ولبناً، وعسلاً، وماءً، وحريراً، وذهباً، وقد قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الآخرة إلَّا الأسماء».

فإذا كانت المخلوقات الغائبة، ليست مثل هذه الموجودة مع

---

(١) في (أ): «ولا يشبه به شيئاً»، وفي (ب): «ولا يشبه شيئاً»، وفي الدرر: «ولا يشبه به شيء».

(٢) سقطت «من الصفات» من (أ).

اتفاقهما[1] في الأسماء فالخالق جلّ وعلا[2] أعظم علواً ومباينةً لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق، وإن اتفقت الأسماء.

وأيضاً فإن الله سبحانه قد سمى[3] نفسه حياً، عليماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، رؤوفاً، رحيماً، وقد سمى بعض مخلوقاته حياً، وبعضها عليماً، وبعضها سميعاً بصيراً، وبعضها رؤوفاً رحيماً، وليس الحي كالحي، ولا العليم كالعليم ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال:

﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [آل عمران/ ٢٧].

وقال:

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [التحريم/ ٢].

وقال:

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات/ ٢٨].

---

(١) في الدرر: «مع اتفاقها».

(٢) في الدرر: «وعلى».

(٣) في (أ): «سما».

وقال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾ [النساء/ ٥٨].

وقال:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾ [الإنسان/ ٢].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وقال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة إلاَّ في اتفاق الاسم.

[إثبات صفة العلو من كتاب الله]

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الله سبحانه فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه[1]، والعرش وما سواه فقير إليه، وهو غني عن كل شيء، لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

---

(١) في (أ): «عن خلقه»، و(ب): «عن مخلوقاته»، وفيهما بعد ذلك «وهو فوق سماواته».

فمن قال: إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام، ولا يرضى ولا يغضب ولا استوى على العرش فهو معطِّل ملعون.

ومن قال: علمه كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو استواؤه كاستوائي، أو نزوله[1] كنزولي فإنه ممثِّل ملعون.

ومن قال هذا فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قتل باتفاق أئمة الدين، فالممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والكتاب والسنة فيهما الهدى والسداد، وطريق الرشاد فمن اعتصم بهما هُدِيَ، ومن تركهما ضل.

وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره.

وهذه سنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة:

قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق العرش فوق السموات[2] مستوٍ على عرشه.

ونحن نذكر من ذلك بعضه:

ـ قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

---

(١) في الدرر: «استواءه... ونزوله».

(٢) سقطت «فوق السموات» من الدرر.

وقال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان/ ٥٩ والسجدة/ ٤].

وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه في ستة مواضع من كتابه، فذكر في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، وآلم[1] تنزيل السجدة، والحديد.

ـ وقال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران/ ٥٥].

وقال:

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء/ ١٥٨].

وقال:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر/ ١٠].

ـ وقال:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾
[الملك/ ١٦ و١٧].

---

(١) سقطت «آلم» من الدرر.

وأخبر عن فرعون أنه قال:

﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر/ ٣٦ و ٣٧].

ففرعون كذَّب موسى في قوله إن الله[1] في السماء.

ـ وقال تعالى:

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الزمر والجاثية والأحقاف][2].

وقال:

﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٤٢].

وقال:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل/ ١٠٢].

وتأمل قوله تعالى في سورة الحديد:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ [الحديد/ ٤].

فقوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾.

---

(١) في الدرر: «إن الله».

(٢) سقطت الآية من الدرر.

يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يـزل وأنه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاتـه أزلاً وأبداً غير مخلوق كما هو قول ابن سينا وأتباعه الملاحدة.

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾.

يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون: ليس على العرش سوى العـدم، وإن الله ليس مستـوياً على عـرشـه[1] ولا تُـرفـع إليـه الأيـدي، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فـوق كما أشـار النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم في أعظم مجامعه ــ في حجة الوداع[2] ــ وجعل يرفع إصبعـه إلى السمـاء وينكبها إلى النـاس ويقول: «اللهم اشهـد» وسيأتي الحـديث إن شاء الله تعالى[3]؛ فأخبر في هذه الآية الكريمة أنه على عرشه، وأنه:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾.

ثم قال:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾.

---

(١) في الدرر: «العرش».

(٢) سقطت من الدرر: «في حجة الوداع».

(٣) في (أ): «إنشـاء الله». والحـديث أخـرجـه مسلم في صحيحـه، كتـاب الحـج (٢/٨٩٠) من حـديث جابـر بن عبد الله ــ رضي الله عنهمـا ــ في سياق صفـة حج النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم.

فأخبر أنـه مع علوه على خلقـه وارتفاعـه ومباينتـه لهم معهم بعلمه أينما كانوا.

قال الإمام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منـه شيء.

وقال نعيم[1] بن حماد ــ لما سئل عن معنى هذه الآية ــ :

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

معناه: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه.

وسيـأتي هذا مـع ما يشـابهـه من كـلام الإمـام أحمـد وأبـي زرعـة وغيرهما.

وليس معنى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا تُوجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمـع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليـه الخلق، بل القمـر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهـو مع المسـافر وغيـر المسافـر أينما كـان، وهو سبحـانه فـوق العـرش رقيب على خلقـه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وأخبـر تعالى أنـه ذو المعارج تعـرج الملائكـة والـروح إليـه، وأنـه

(١) في (ب): «شيخ البخاري»، ونعيم من كبار شيوخ البخاري.

القاهر فوق عباده، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم، فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه وأنه معنا حَقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة.

وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه كقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية [البقرة/ ١٨٦].

وقوله:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق/ ١٦].

وقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد (٦/١٣٥)، والمغازي (٧/٤٧٠)، والدعوات (١١/١٨٧ ـ ٢١٣)، والقدر (١١/٥٠٠)، والتوحيد (١٣/٣٧٢)، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في سفر، فكنا إذا علونا كبّرنا، فقال:

«اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً». قال أبو موسى: ثم أتى عليّ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فقال لي: «يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فإنها من كنوز الجنة». وأخرج مسلم في صحيحه ـ كتاب الذكر (٤/٢٠٧٦ ـ ٢٠٧٧)، وفي بعض ألفاظه: «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم».

فائدة: في بعض ألفاظ البخاري (٧/٤٧٠): «فرفعوا أصواتهم بالتكبير: =

وقوله تعالى:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة/ ٧].

وكلُّ ما[١] في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه ـ سبحانه ـ عليٌّ في دنوه، قريب في علوه.

وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون.

قال[٢] حنبل بن إسحاق: قيل لأبي عبد الله: ما معنى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾؟

قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة.

وسيأتي هذا[٣] الكلام مع زيادة عليه من كلام الإمام أحمد وغيره إن شاء الله تعالى.

= الله أكبر لا إله إلاَّ الله» فدل على أن التكبير يطلق على الذكر تغليباً، وفيه ردٌّ على من أخذ بظاهر حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يسمع التكبير بعد انقضاء الصلاة من خارج المسجد.

(١) في الدرر: «وكلما».

(٢) في الدرر: «وقال».

(٣) سقطت «هذا» من الدرر.

إثبات صفة العلو من السنة

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الباب فكثيرة جداً:

منها: ما رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنَّسائي وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لطمت جارية لي، فأخبرت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فعَظَّم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «بلى، ائتني بها»، قال: فجئت بها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: **في السماء** فقال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله[1]، قال: «**اعتقها، فإنها مؤمنة**»[2].

وفي هذا[3] الحديث مسألتان: إحداهما: قول الرجل لغيره: أين الله؟.

وثانيهما: قول المسؤول: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت

---

(١) زاد في الدرر: «صلَّى الله عليه وسلَّم».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة (١/٣٨٢)، وأبو داود في الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (١/٥٧٠)، والنسائي في سننه (٣/١٤ ــ ١٨).

(٣) سقطت من الدرر: «هذا».

زينب تفخر على أزواج النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وتقول: زَوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي) وفي لفظ آخر: (كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي)، وفي لفظ: (فهو مكتوب عنده فوق العرش).

وهذه الألفاظ كلها صحاح في صحيح البخاري ومسلم[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بخمس كلمات، فقال: (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرْفَعُ إليه عمل الليل قبل النهار

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) (وهو رب العرش العظيم) (٤٠٣/١٣) من حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ .

(٢) في النسخ: «كلها في صحيح البخاري»، والمثبت من «اجتماع الجيوش الإسلامية» ط المعتق.

والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه (٤٠٤/١٣ و ٣/١٤ و ٤٤٠ و٥٢٢) في أبواب: (وكان عرشه على الماء) و (يحذركم الله نفسه) و (لقد سبقت كلمتنا) و (بل هو قرآن مجيد).

ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة (٢١٠٧/٤ ــ ٢١٠٨). كلاهما من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ .

وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم الرب وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)[2].

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول لله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: (من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حَوْبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أَنْزِلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ) أخرجه أبو داود[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١/١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) (١٣/٤١٥) وفي (باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة) (١٣/٤٦١) وفي كتاب بدء الخلق (٦/٣٠٦)، وفي مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٢/٣٣).

ومسلم، كتاب المساجد (١/٤٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب (٤/٢١٨) وفي إسناده زياد بن محمد =

وفي الصحيحين في قصة المعراج وهي متواترة: وتجاوز النبي صلَّى الله عليه وسلَّم السموات سماءً سماءً حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقرَّبه وأدناه، وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه، ينزل من عند ربه إلى موسى، فيسأله: كم فرض عليك؟ فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك فسله التخفيف(١).

وذكر البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه حديث أنس حديث الإسراء، وقال فيه: ثم علا به ــ يعني(٢) ــ جبريل فوق ذلك بما لا يعلم إلَّا الله حتى جاوز سِدْرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عَهِد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه

= الأنصاري، وهو ضعيف عندهم.

وقد حسَّن شيخ الإسلام هذا الحديث في (الواسطية).

وفي الدرر: «ذنوبنا... شفاك» بدل: «حوبنا... شفائك».

وسقطت «اجعل رحمتك في الأرض» من (ب).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة (١/٤٥٨ ــ ٤٥٩)، ومسلم، كتاب الإيمان (١/١٤٦).

(٢) سقطت من الدرر: «يعني».

جبريل أَنْ نعم إن شئتَ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو في مكانه: «يا رب خَفِّفْ عنا» وذكر الحديث[1].

ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بأَنْ تُقتل مقاتلتهم، وتُسْبَى ذريتهم وتُغنم أموالهم، قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (لقد حكمتَ فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة). وفي لفظ: (من فوق سبع سموات). وأصل القصة في الصحيحين، وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في المغازي[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال: بعث علي بن أبي طالب إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بذُهَيْبة في أديم مقروض

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً) (١٣/٤٧٨).
وسقط من الدرر: «وعنهم.. في ذلك» وفي الدرر: «فأشار عليه».
وسقط من (ب) ذكر «جبريل» في آخر الحديث عند المشورة.

(٢) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقة ابن هشام في السيرة (١٣/١٤٦ ط الكليات).
وأخرجه الذهبي في العلو (ص ٣٢) من طريق ابن إسحاق مرسلاً، ومن طريق آخر قال عقبة: (حديث صحيح أخرجه النسائي...).
وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٠).
وأصل القصة في الصحيحين، انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد (٦/١٦٥)، والمناقب (٧/١٢٣)، والمغازي (٧/٤١١)، والاستئذان (١١/٤٩).
ومسلم، كتاب الجهاد (٣/١٣٨٨).

لم تحصـل من ترابهـا، قال: فقسمها بين أربعة: بين عيينـة بن حصن بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة، وإما عـامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبـي صلّى الله عليه وسلّم فقال: (ألا تأمنوني وأنـا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً)[1].

وفي سنن أبـي داود من حديث جبير بن مُـطْعِم قال: جـاء أعرابـي إلى رســول الله صلّى الله عليـه وسلّم فقــال: يـا رســول الله، نهكت[2] الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بـالله عليـك وبـك على الله، فـقــال النبـي صلّى الله عـليـه وسلّم: (سبحـان الله سبحان الله!!) فمـا زال يسبـح حتى عـرف ذلـك في وجـوه أصحابه، فقال: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شـأنه أعـظم من ذلك، إنـه لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إنـه لفوق سمـواته على عـرشه، وإنـه عليه لهكذا وإنه ليئط به أطيط الـرحل بـالراكب)[3]. وقـد ساق الـذهبـي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه (١٣/٤١٥)، والأنبياء (٦/٣٧٦)، والتفسير (٨/٣٣٠).

ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة (٢/٧٤٢).

كـلاهمـا من حـديث أبـي سعيـد الخـدري ـ رضي الله عنـه ـ، وسقط من الدرر: «نحن» و«ذلك».

(٢) في الدرر: «هلكت».

(٣) رواه أبو داود في السنة من سننـه (٥/٩٤ ـ ٩٦)، وانظر: تهـذيب السنن لابن القيم (٧/٩٤ ـ ١١٧).

هذا الحديث في كتاب العلو من رواية محمد بن إسحاق، ثم قال: (هذا حديث غريب جداً، وابن إسحاق، حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير وعجائب فالله أعلم قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم هذا أم لا؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره.

والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعدَّه صفةً لله عز وجل، ثم لفظ الأطيط لم يأتِ به نص ثابت.

وقولنا في هذه الأحاديث أَنَّا نؤمن بما صح منها وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال أو اختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإنّا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله على عرشه مما يوافق آيات الكتاب)[1].

وفي سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد من حديث العباس بن عبد المطلب قال: كنت جالساً بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فمرت سحابة، فنظر إليها، فقال: (ما تسمون هذه؟) قالوا: السحاب قال: (والمزن) قالوا: والمزن، قال: (والعنان) قالوا: والعنان قال: (هل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض؟) قالوا لا ندري قال: (إن بُعْدَ ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون

---

(١) هذا بحروفه كلام الذهبي في العلو (ص ٣٩)، وهو معروف بحديث الأطيط.

سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عَـدَّ سبع سمـوات، ثم فوق السمـاء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فـوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم ورُكَبهم مثـل ما بين سمـاء إلى سماء، ثم على ظهـورهم العـرش أسفله وأعـلاه مثـل مـا بين سمـاء إلى سمــاء، ثم الله عـز وجـل فـوق ذلـك) زاد أحمـد: (وليس يخفى عليـه شيء من أعمـال بني آدم)[1].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبـي هريرة أن رجـلاً أتى النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم بجارية سوداء أعجمية، فقال: يـا رسول الله إن عليَّ رقبة مؤمنة فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (أين الله؟) فـأشارت بإصبعها السبابة إلى السماء فقال لهـا: (من أنا؟) فـأشارت بـإصبعها إلى

(١) أخـرجـه الإمـام أحمـد (٣/٢٠٢ ط شـاكـر)، وأبـو داود (٥/٩٣)، والترمـذي (٥/٤٢٤)، وابن مـاجه (١/٦٩)، وابن خـزيمة في التـوحيـد (ص ١٠١ ــ ١٠٣)، والآجـري في الشـريعـة (ص ٢٩٢)، والحـاكم في المستـدرك (٢/٢٨٨ و ٤١٢)، والبيهقي في الأسمـاء والصفـات (ص ٣٩٨ ــ ٣٩٩)، والـدارمي في الـرد على الجهميـة (ص ٢٤)، والرد على المـريسي (ص ٩٠)، وابن أبـي عـاصم في السنَّـة (١/٢٥٣)، ومحمد بن عثمان بن أبـي شيبة في كتاب العرش (ص ٥٥)، والذهبـي في العلو (ص ٤٩ ــ ٥٠).

وسقط من الدرر كلمة «السماء» في: «فوق السماء السابعة بحر».

وسقط من النسخ: «وزاد أحمد» وهي في الاجتماع.

رسـول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وإلى السمـاء أي أنت رسـول الله فقـال: (أعتقها فإنها مؤمنة)[1].

وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن عَمْرو بن العـاص أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحمـوا مَنْ في الأرض يـرحمكم من في السمـاء). قـال التـرمـذي: هـذا حـديث حسن صحيح[2].

وفي جامع التـرمذي أيضـاً عن عمران بن حصين قـال: قال النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم لأبيه حصين: (كم تعبـد اليوم إلٓهـاً؟) قال: سبعـة، ستـة في الأرض وواحـد في السمـاء! قـال: (فمن الـذي تَعُـدّ لـرغبتـك ورهبتك؟) قال: الـذي في السماء قـال: (يا حصين أمـا إنك لـو أسلمت عَلَّمتـك كلمتين ينفعانـك) قال: فلمـا أسلم حصين قـال: يـا رسـول الله عَلِّمني الكلمتين اللتين وعـدتني قال: (قـل: اللَّهم ألهمني رشـدي وقني شر نفسي)[3].

وفي صحيـح مسلم عن أبـي هريـرة ــ رضي الله عنـه ــ أن النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (والـذي نفسي بيده مـا من رجل يـدعو امـرأته

---

(١) هـو في المسند (٢/٢٩١)، وسبق قـريباً من روايـة مسلم وغيره من حـديث معاويـة السلمي ــ رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه في «الضياء الشارق»، وهو صحيح.

(٣) تقدم تخريجه في «تحفة الطالب والجليس» ص (١١٥) ط (٢).

إلى فراشه فتأبى عليه إلَّا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها)[1].

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه) وذكر الحديث، وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه: (فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه)[2].

وصح عن أبي هريرة بإسناد مسلم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (إن لله ملائكة سَيَّارة يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم، فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم). وأصل الحديث في صحيح مسلم، ولفظه: (فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم؟) الحديث[3].

---

(١) مسلم في كتاب النكاح من صحيحه (٢/١٠٦٠) بهذا اللفظ. وأخرجه البخاري (٢٩٤/٩) بلفظ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع».

وهذا اللفظ عند مسلم إلَّا أن فيه: «حتى تصبح».

(٢) تقدم قريباً. وسقط من الدرر: «في صحيحه».

(٣) مسلم، كتاب الذكر (٤/٢٠٦٩ ــ ٢٠٧٠).

وأما الحديث باللفظ الأول فرواه الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ في مسنده (٢/٢٥٢ و ٣٥٩ و ٣٨٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً لا يتسع هذا الجواب لبسطها، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله وألهمه رشده، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه، بل لا تزيده كثرة الأدلة إلَّا حيرة وضلالاً كما قال تعالى:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة/ ٦٤ و ٦٨].

وقال:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء/ ٨٢].

وقال جل ذكره:

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦].

وقال تبارك وتعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة/ ١٢٥].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت/ ٤٤].

[الكلام في الكيفية]

والمقصود أن نصوص الكتاب والسنَّة قد نطقت؛ بل قد تواترت بإثبات علو الله على خلقه، وأنه فوق سمواته مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله لا يعلم كيفيته إلَّا هو.

فإن قال السائل: كيف استوى على عرشه؟

قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا؟

قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته. قيل: ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ[1] العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، فكيف تطالبني بكيفية استوائه على عرشه وتكليمه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تُقِرُّ بأن له ذاتاً حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فاستواؤه[2]، ونزوله، وكلامه ثابت في نفس الأمر، ولا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فإن الله تعالى[3] ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذاتٌ حقيقةً لا تماثل

---

(١) في الدرر: «كيف. . . إذا».

(٢) في الدرر: «فاستواءه».

(٣) في الدرر: «فإنه ليس».

الـذوات، فالـذات متصفة بصفـات حقيقية لا تمـاثل، صفـات[1] سـائـر الـذوات، فإن الكـلام في الصفات فـرع على الكـلام في الـذات، فـإذا كـانت ذاته لا تشبـه ذوات المخلوقين، فصفات الخـالق لا تشبـه صفـات المخلوقين.

وكثير من الناس يتوهم في كثير من الصفات أو أكثرهـا أو كلها أنهـا تماثل صفات المخلوقين، ثم يريـد أن ينفي ذلك الـذي فهمه، فيقـع في محاذير.

ومنها: أنه مَثَّل ما فهمـه[2] من النصوص بصفـات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

ومنها: أنه ينفي[3] تلك الصفـات عن الله بلا علم، فيكـون معطِّلاً لما يستحقه الرب من صفات الكمـال ونعوت الجـلال، فيكون قـد عَطَّل ما أثبته الله ورسوله من الصفات الإلٓهية اللائقة[4] بجلال الله وعظمته.

ومنها: أن يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الجمادات أو صفات[5] المعدومات، فيكون قد عَطَّل صفات الكمال التي يستحقهـا

---

(١) في الدرر: «لا تماثل سائر الصفات».

(٢) في الدرر: «ما فهم».

(٣) في الدرر: «أن ينفي».

(٤) في الدرر: «صفات الإلٓهية اللائق».

(٥) في الدرر: «وصفات».

الرب، ومَثَّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطَّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فجمع في الله وفي كلام الله بين[1] التعطيل والتمثيل، فيكون ملحداً في أسمائه وآياته.

[الاستواء ومعناه]

ومثال ذلك أن النصوص كلها قد دلت على وصف الإلّه تبارك وتعالى بالفوقية وعلوه على المخلوقات واستوائه على عرشه، وليس في كتاب الله والسنَّة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجاً عنه ولا مباينه ولا مداخله، فيظن المتوهم أنه إذا وصف الله تعالى بالاستواء على العرش كان الاستواء كاستواء الإنسان على ظهر الفلك والأنعام كقوله:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف/ ١٣].

فيخيل لهذا الجاهل[2] بالله وصفاته أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

بل هو غني عن العرش وغيره، وكل ما سواه مفتقر إليه، فكيف يتوهم أنه إذ كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه؟ تعالى الله عن ذلك وتقدس.

---

(١) في الدرر: «من التعطيل».

(٢) في (ب): «فيخيل»، وفي (أ، ب): «هذا».

وأيضاً فقد عُلِم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله[1]، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله الأرض، والسحاب أيضاً فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله، والسموات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها، فالعليُّ الأعلى ربّ كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى عرشه أو خلقه، أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار، وهو ليس يستلزم في المخلوقات، وكذلك قوله:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾

[الملك/ ١٦].

وقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)، وقوله في رقية المريض: (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك)[2].

فمن توهم من هذه النصوص أن الله في داخل السموات فهو جاهل ضال باتفاق العلماء.

فلو قال القائل: العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل: في السماء، ولو قيل: الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقيل: في السماء،

---

(١) في الدرر: «مفتقر»، وفي (ب): «أسفله».

(٢) سبق تخريجهما قريباً.

ولم يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات بل ولا الجنة فإن السماء يراد به العلو سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها.

قال تعالى:

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج/ ١٥].

وقال:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان/ ٤٨].

ولما كان قد استقر في نفوس[١] المخاطَبين أن الله هو العلي الأعلى كان المفهوم من قوله إنه[٢]: (في السماء) أنه في العلو وأنه كان فوق كل شيء وكذا الجارية لما قال لها (أين الله؟) قالت: في السماء ـ وإنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها.

وإذا قيل: العلو فإنه يتناول[٣] ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن[٤] يكون هناك ظرف وجودي يحيط به[٥]، إذ ليس فوق العالم إلاَّ الله، كما لو قيل العرش في السماء كان المراد أنه عليها.

---

(١) في (أ): «قلوب».

(٢) سقطت من الدرر: «إنه».

(٣) في (ب): «يتأوّل».

(٤) في الدرر: «هذان».

(٥) في (ب): «طرف»، وفي الدرر: «بها».

كما قال تعالى:

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران/ ١٣٧ والنحل/ ٣٦].

وكما قال:

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة/ ٢].

وقال عن فرعون:

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه/ ٧١].

وبالجملة فمن قال: إن الله في السماء وأراد أنه في جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به فقد أخطأ وضل ضلالاً بعيداً، وإن أراد بذلك أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فقد أصاب.

[إجماع أهل العلم على إثبات العلو]

وهذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ــ وهو الذي نطق به الكتاب والسنّة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك كان مكذِّباً الرسل، متبعاً غير سبيل المؤمنين، بل يكون في الحقيقة معطِّلاً لربه، نافياً له، ولا يكون له في الحقيقة إلَه يعبده، ولا رب يسأله ويقصده[1]، وهذا قول الجهمية.

والله تعالى قد فطر العباد عربهم وعجمهم على[2] أنهم إذا دعوا

---

(١) في الدرر: «يقصده ويسأله».

(٢) سقطت من (أ): «على».

الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولهذا قال بعض العارفين: ما قال عارف قط بالله[1]: يا الله إلَّا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنى يطلب[2] العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة. بل قد فطر الله على ذلك جميع الأمم في الجاهلية والإسلام؛ إلَّا من اجتالته الشياطين عن فطرته. قال ابن قتيبة: ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها، معترفة بأن الله في السماء، أي على السماء، فهو سبحانه قد أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم بأنه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويناسب كبرياءه[3]، وهو غني عن العرش وعن حملة العرش، والاستواء معلوم والكيف مجهول[4]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، كما قالته[5] أم سلمة، وربيعة، ومالك وهذا مذهب أئمة المسلمين، وهو الظاهر من لفظ استوى عند عامة المسلمين الباقين على الفطرة السليمة، التي لم تنحرف إلى تعطيل ولا إلى تمثيل.

وهذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق على إمامته، وجلالته وفضله، وهو من أتباع[6] التابعين، حيث قال: من زعم أن

---

(١) سقطت من الدرر و (ب): «بالله».

(٢) في الدرر: «طلب».

(٣) في الدرر: «كبريائه».

(٤) في (ب): «والكيفية مجهولة».

(٥) في (ب) والدرر: «قالت».

(٦) في (ب): «تابع».

الرحمن على العرش استوى خلاف ما يَقَرُّ في نفوس العامة فهو جهمي.

فإن الذي أقره الله في فِطَر عباده وجبلهم عليه أن ربهم فوق سمواته.

وقد جمع العلماء في هذا الباب مصنفات كباراً وصغاراً، وسنذكر بعض ألفاظهم في آخر هذه الفتوى إن شاء الله تعالى.

وليس في كتاب الله، ولا سنَّة رسول الله، ولا عن أحد من سلف الأمة: لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين حرف واحد يخالف ذلك.

ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها.

بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جعل يقول: (ألا هل بَلّغْتُ) فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم، ويقول: (اللَّهم اشهد؟) وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث[١].

---

(١) تقدم تخريجه من صحيح مسلم. ووقع في الدرر: «اللَّهم هل بلغت».

[معنى: ظاهرها غير مراد]

واعلم إن كثيراً من المتأخرين يقولون: هذا مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها إقرارها على ما جاءت مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا لفظ مجمل، فإن قول القائل: ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المُحْدَثين، فلا شك أن هذا غير مراد، ومن قال هذا فقد أصاب، لكن أخطأ في إطلاق القول: إن هذا ظاهر النصوص، فإن هذا ليس هو الظاهر، فإن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته[1] المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف، فنعقل وجود الباري وننزه ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها، ونَعْلمها في الجملة من غير أن نتعقلها[2]، أو نشبهها، أو نكيفها، أو نمثّلها بصفات خلقه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى الاستواء الاستيلاء، ولا معنى نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا نزول رحمته ونحو ذلك، بل نؤمن بأنها صفاتٌ حقيقة، والكلام فيها كالكلام في الذات يُحْتَذَى فيه حَذْوَه، فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

ومن ظن أن نصوص الصفات لا يُعْقَل معناها ولا يُدْرَى ما أراد الله

---

(١) في الدرر: «بالذات».

(٢) سقطت من (ب): «نتعقلها».

ورسـوله منهـا، ولكن يقرؤهـا ألفاظـاً لا معاني لهـا، ويعلم أن لها تـأويلاً لا يعلمـه إلاَّ الله وأنهـا بمنــزلـة (كهيعص)، و (حم عسق)، و (ألمص)، وظن أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونـوا يعرفـون حقائق الأسـمـاء والصفات، ولا يعلمون حقيقة قوله تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وقولـه:

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص/ ٧٥].

وقولـه:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

ونحـو ذلك: فهـذا الظان من أجهـل الناس بعقيـدة السلف، وهذا الظن يتضمن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسـائر الصحابة وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات، ويروون حديث النزول وأمثـاله ولا يعـرفون معنى ذلـك، ولا ما أُريـد به، ولازم هـذا الـظن أن الـرسـول صلَّى الله عليه وسلَّم كان يتكلم بذلك ولا يعرف معناه، فمن ظن أن هذه عقيدة السلف فقد أخطأ في ذلك خطأً بَيِّناً.

بل السلف ــ رضي الله عنهم ــ أثبتوا لله حقائق الأسماء والصفـات ونفوا عنه ممـاثلة المخلوقات، فكـان مذهبهم مـذهباً بين مـذهبين وهدى

بين ضلالين[1]، خرج من مذهب المعطلين والمشبهين كما خرج اللبن:

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل/ ٦٦].

[ما وصف به نفسه ووصفه رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم]

وقالوا: نَصِفُ[2] الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نمثل، ولا نؤوِّل، ولا نقول: ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع، ولا بصر؛ ولا نقول: له أيدٍ[3] كأيدي المخلوقين، ولا أن له وجهاً كوجوههم، ولا سمعاً وبصراً كأسماعهم وأبصارهم، بل نقول له ذات حقيقة ليست كالذوات، وله صفات حقيقة لا مجازاً، ليست كصفات المخلوقين، فكذلك قولنا في وجهه ويديه وكلامه واستوائه.

وهو سبحانه قد وصف نفسه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وسمى نفسه بأسماء، وأخبر عن نفسه بأفعال، فسمى[4] نفسه:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر/ ٢٣].

---

(١) في (ب): «وهداً»!، وفي (أ، ب): «ضلالتين».

(٢) في الدرر: «أنصف»!

(٣) في (ب): «يدان»، وفي الدرر: «يد».

(٤) في الدرر: «فسما».

إلى سائر ما ذكر من أسمائه الحسنى، ووصف نفسه بما ذكره من الصفات كسورة (الإخلاص) وأول (الحديد) وأول (طه) وغير ذلك، ووصف نفسه بأنه يحب ويكره، ويمقت ويرضى ويغضب، ويأسف ويسخط، ويجيء ويأتي، وأنه استوى على عرشه، وأن له علماً وحياةً، وقدرةً، وإرادةً، وسمعاً وبصراً، ووجهاً ويداً، وأن له يدين، وأنه فوق عباده، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل بالأمر من عنده، وأنه قريب، وأنه مع المحسنين، ومع الصابرين، ومع المتقين، وأن السموات مطويات بيمينه.

ووصفه رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم بأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يفرح ويضحك، وأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه.

وغير ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.

وكل هذه الصفات تُساق مساقاً واحداً، وقولنا فيها كقولنا في صفة العلو، والاستواء، فيجب علينا الإيمان بكل ما نطق به الكتاب والسنَّة من صفات الرب جلَّ وعلا ونعلم أنها صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فلا نمثل ولا نعطل.

وكل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله، يجب[1] الإيمان به سواء

(١) في (ب): «فكلما»، وفي (أ): «أو أخبر»، وفي (أ والدرر): «فيجب».

عرفنا معناه أو لم نعرفه، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن عامته منصوص عليه في الكتاب والسنَّة.

[ما تنازع فيه المتأخرون من ألفاظ]

وأما ما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قُبِلَ منه، وإن أراد باطلاً رُدَّ عليه، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقْبَلْ مطلقاً، ولم يُرَدُّ جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى.

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك، فيقول بعض الناس: ليس في جهة، ويقول آخر: بل هو في جهة.

فإن هذه الألفاظ مبتدعة في النفي والإثبات، وليس على أحدهما دليل من الكتاب ولا من السنَّة، ولا من كلام الصحابة والتابعين، ولا أئمة الإسلام، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم: إن الله سبحانه وتعالى في جهة؛ ولا قال: إن الله ليس في جهة، ولا قال: هو متحيز، ولا قال: ليس بمتحيز.

والناطقون بهذه الألفاظ قد[1] يريدون معنى صحيحاً، وقد يريدون معنى فاسداً، فإذا قال: إن الله في جهة قيل له: ما تريد بذلك، أتريد أن الله سبحانه في جهة[2] تحصره وتحيط به؟ أم تريد أمراً عدمياً، وهو

(١) سقطت من الدرر: «قد».

(٢) في الدرر: «أتريد أنها تحصره».

ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات؟

فإن أردتَ الجهة الوجودية وجعلت الله محصوراً في المخلوقات، فهذا باطل.

وإن أردت أن الله تعالى فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئاً من المخلوقات[1] حصره ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها، وقد قال تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

وفي الصحيح عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (إن الله يقبض الأرض يوم القيامة، ويطوي السموات بيمينه، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟) فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى في هذا الصغر والحقار كيف تحيط به وتحصره.

ومن قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟

فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يُعْبَد، ولا على العرش إله يُصَلَّى له ويُسْجَد ومحمد لم يعرج بذاته إليه، فهذا مُعَطِّل.

وإن قال: مرادي بنفي الجهة أنه لا تحيط به المخلوقات فقد أصاب، ونحن نقول به.

(١) في الدرر: «المخلوت»!

وكـذلك من قـال: إن الله متحيـز، إن أراد أن المخلوقـات تحـوزه وتحيط به فقد أخطأ، وإن أراد أنه محتاز عن المخلوقات بائن عنها عـالٍ عليها فقد أصاب.

ومن قـال: إنه ليس بمتحيـز إن أراد أن المخلوقات لا تحـوزه فقـد أصـاب، وإن أراد بذلـك أنه ليس ببـائن عنهـا بـل هـو لا داخـل العـالم ولا خارجه فقد أخطأ، فإن الأدلة كلهـا متفقة على أن الله فـوق مخلوقاتـه عالٍ عليها قد[1] فطر الله على ذلك الأعراب والصبيـان كما فـطرهم على الإقرار بالخالق تعالى، ولهـذا قال عمـر[2] بن عبد العـزيز: عليـك بدين الأعراب والصبيان، أي عليـك بما فـطرهم الله عليه، فـإن الله فطر عبـاده على الحق كما في الصحيح عن النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم: (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث[3].

(١) في الدرر: «فقد».

(٢) في (أ و ب): «وهذا معنى قول عمر».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتـاب الجنائـز، باب إذا أسلم الصبـي فمـات، هل يُصَلَّى عليه؟ (٣/٢١٩)، وباب ما قيل في أولاد المشـركين (٣/٢٤٥)، وفي كتاب التفسير، تفسير سورة الروم، باب لا تبديل لخلق الله (٨/٥١٢)، وفي كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين (١١/٤٩٣).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر (٤/٢٠٤٧ ــ ٢٠٤٨). كلاهما من حديث أبـي هريرة ــ رضي الله عنه.

فصل
[في إثبات اليد]

وأما قوله تعالى:

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح/ ١٠].

فاعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع:

مفرداً[1] كهذه، وكقوله:

﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك/ ١].

وجاء مثنى كقوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤].

وكقوله:

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص/ ٧٥].

وجاء مجموعاً كقوله:

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس/ ٧١].

---

(١) في الدرر: «مفرد».

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعَدَّى الفعل بالباء إليها فقال:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعدِّ[1] الفعل بالباء، فلا يحتمل:

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

من المجاز ما يحتمله:

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾.

فإن كل أحد يفهم من قوله[2]: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ما يفهمه من قوله: عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك[3] من قوله:

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وأما قوله:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت الباء، فالفعل قد يضاف إلى يد

---

(١) في (ب): «يعدا».

(٢) في (أ): «ما يفهم من قول».

(٣) سقطت من الدرر: «ذلك».

ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله[1]:

﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾.

وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عُدِّي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده.

ولهذا قال عبد الله بن عَمْرو بن العاص: إن الله لم يخلق بيده إلَّا ثلاثاً: خلق آدم بيده؛ وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده[2].

فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة.

وقد صح عن النبي[3] صلَّى الله عليه وسلَّم: (إن أهل الوقف يأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلَّمك أسماء كل شيء) فذكروا أربعة أشياء كلها خصائصه[4].

---

(١) في الدرر: «بقوله».

(٢) وورد عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، من حديث عبد الله بن الحارث عند الدارقطني في الصفات (ص٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١٨). وانظر: الشريعة للآجري (٣٠٣)، والرد على المريسي لعثمان الدارمي (ص ٣٥)، والدر المنثور (٢٠٧/٧).

(٣) في الدرر: «عنه».

(٤) في الدرر: «خصائص».

والحديث رواه البخاري في الرقاق من صحيحه (٤١٧/١١ ـ ٤١٨)، والتوحيد (٣٩٢/١٣)، ومسلم في الإيمان (١٨٠/١).

وكذلك قال آدم لموسى عليهما السلام في محاجته له: (اصطفاك الله بكلامه، وخَطَّ لك الألواح بيده). وفي لفظ آخر: (كتب الله لك التوراة بيده) وهو من أصح الأحاديث[1].

وكذلك في الحديث المشهور: (إن الملائكة قالوا: يا رب خلقت بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة، فقال الله: لا أجعل صالح ذرية مَنْ خلقت بيديَّ ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان)[2].

وأيضاً فإنه لو كان قوله:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

مثل قوله:

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾.

لكان آدم والأنعام سواء، وأهل الموقف قالوا: (أنت أبو البشر خلقك الله بيده)، فعلموا أن[3] لآدم تخصيصاً وتفضيلاً بكونه مخلوقاً باليدين.

---

(١) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها القدر (١١/٥٠٥)، ومسلم في القدر (٤/٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠١ و٤٠٢)، وفي شعب الإيمان (١/٤٢١ ـ ٤٢٢ ط هندية)، وقال: (في ثبوته نظر).

وسقطت من الدرر: «ذرية».

(٣) في الدرر: «يعلمون».

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (يقبض الله سمواته بيده اليمنى والأرض بيده الأخرى)[1].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: (يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة) الحديث[2].

وفي صحيح مسلم في أعلى أهل الجنة منزلة: (أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها)[3].

وقال عبد الله بن الحارث: قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، قال: وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا دَيُّوث)[4]. وفي الصحيح عنه صلَّى الله عليه وسلَّم: (تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدة يتكفاها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نُزُلاً لأهل الجنة)[5].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ومنها كتاب الرقاق (١١/٣٧٢)، والتوحيد (١٣/٣٦٧)، ومسلم في كتاب المنافقين (٢/٢١٤٨).
كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ومنها كتاب التوحيد (١٣/٣٩٣ و ٤٠٣)، ومسلم في كتاب الزكاة (٢/٦٩١). وفي الدرر: «ملآ».

(٣) مسلم، كتاب الإيمان (١/١٧٠).

(٤) سبق قريباً، وفي الدرر: «الخمر».

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض (١١/٣٧٢). من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

وفي الصحيح مرفوعاً: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)[1].

وفي الصحيح أيضاً مرفوعاً: (المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين)[2].

وقال عُمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: (خلق الله آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، ثم استخرج ذريته منه، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون) الحديث[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلَّا طيباً ـ إلَّا أخذها الرحمن بيمينه، فتربو في كف الرحمن حتى تكون

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة (٤/٢١١٣) من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (٣/١٤٥٨) من حديث عبد الله بن عَمْرو ـ رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/٤٤ ـ ٤٥)، وأبو داود (٤/٢٢٦ ـ ٢٢٧)، والترمذي (٥/٢٦٦).

وقال: (حديث حسن). كلهم من حديث عُمر ـ رضي الله عنه.

وله طرق عن جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم. انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٠٠ ـ ٥٠٦).

أعظم من الجبل) متفق على صحته[1].

وقال نافع بن عُمر[2]: سألت ابن أبي مُلَيْكة عن يد الله: أواحدة أم اثنتان؟ فقال: بل اثنتان.

وقال عبد الله بن عباس: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله إلَّا كخردلة في يد[3] أحدكم.

وقال ابن عُمر وابن عباس: أول شيء خلق الله القلم فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين[4]، فكانت الدنيا وما فيها من عمل معمول في بر وبحر ورَطْب ويابس فأحصاه عنده.

وقال ابن وهب، عن أسامة عن نافع، عن ابن عمر أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قرأ على المنبر:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر/ ٦٧].

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب تعرج الملائكة (١٣/ ٤١٥)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢)، كلاهما من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه.

(٢) في الدرر: «نافع عن ابن عمر»، وفي حاشية (أ): «لمولي ابن عمر» وفي (ب): «مولى». والصواب «نافع بن عمر» فهو الجمحي ثقة. يروي عن عَبْد الله بن عُبَيْد الله بن أبي مُلَيْكة، وعبد الله تابعي ثقة عالم.

وسقط من الدرر: «بل».

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٥). وانظر: الدر المنثور (٧/ ٢٤٨).

(٤) في الدرر «يمنى» والصواب «يمين».

قال: (مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة)[1].

وهذه النصوص التي ذكرنا هي غيض من فيض، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور/ ٤٠].

(١) سقط من الدرر: «عن نافع».

وقد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٦) من طريق ابن وهب عن أسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الله بن عُمر ــ رضي الله عنهما ــ.

فـصـل

في ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباع التـابعين في مسـألة علو الـرب تبارك وتعـالى عـلى خلقه، وأنه على عرشه المجيد فوق سمواته

روى ابن أبـي شيبة عن ابن عُمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: لمـا قُبِض رسـول الله صلَّى الله عليـه وسلَّم قـال أبـو بكـر ـ رضي الله عنه ـ : يا أيها الناس إن كان محمد إلٰهكم الـذي تعبدون فـإن إلٰهكم قد مات، وإن كان إلٰهكم الذي في السماء فإن إلٰهكم لم يمت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآيـة، [آل عمران/ ١٢٤].

وروى البخاري في تاريخه عن ابن عمر أن أبـا بكر قـال: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت.

وروى ابن أبـي شيبـة عن قيس قال: لمـا قدم عمـر الشام استقبله الناس وهو على بعيره[1]، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت بِـرْذَوْناً يلقـاك

(١) في الدرر: «على بعير».

عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر رضي الله عنه: ألا أراكم ها هنا؟ إنما الأمر من ها هنا ــ وأشار بيده إلى السماء.

وروى عثمان بن سعيد الدارمي أن امرأة لقيت عمر بن الخطاب وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها، وأصغى لها حتى انصرفت، فقال له[1] رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز! قال: ويلك أتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فَوْقِ سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة.

والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلّا أن تحضرني صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها.

وقال ابن عبد البر: في كتاب الاستيعاب: روينا من وجوه صحيحة أن **عبد الله بن رواحة** ــ رضي الله تعالى عنه ــ مشى إلى أَمَةٍ له فنالها، فرأته امرأته، فجحدها. فقالت: إن كنتَ صادقاً فاقرأ القرآن، فإن الجنب لا يقرأ القرآن. فقال:

شَهِدْتُ بأنَّ وعد الله حقٌّ
وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا

---

(١) سقطت من الدرر: «له».

وتـــحـــمـــلـه مـــلائـــكـــة شـــداد
مـــلائـــكـــة الإلـــه مـــســـومـيـــنـــا

فقالت: آمنت بالله وكذَّبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن.

وروى الدارمي بإسناده عن ابن مسعود قال: العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، قال الحافظ الذهبي: رواه عبد الله بن الإمام أحمد وابن المنذر والطبراني، وأبو الشيخ واللالكائي، والبيهقي وابن عبد البر وإسناده صحيح.

وروى الأعمش عن خيثمة عن عبد الله: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة حتى إذا تيسر[1] له نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملك: اصرفه عنه فيصرفه عنه.

وقال **عبد الله بن عباس**: تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة أنوار، والله فوق ذلك. ورواه عبد الله بن الإمام أحمد.

وروى الدارمي أن ابن عباس قال لعائشة حين استأذن عليها وهي تموت: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات.

وروى الدارمي عن نافع قال قالت **عائشة**: وأيم الله لو كنت أحب قتله لقتلته ـ يعني عثمان، وقد علم الله فوق عرشه أني لا أحب قتله.

---

(١) في الدرر: «استيسرت».

وفي الصحيحين أن زينب كانت تفتخر على أزواج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تقول: زَوَّجكن أهاليكن، وزَوّجني الله من فوق سبع سموات، وقد تقدم ذلك، وفي لفظ لغيرهما[1] كانت تقول: زَوَّجني الرحمن من فوقْ عرشه كان جبرائيل السفير بذلك وأنا ابنة عمتك.

وقال علي بن الأقمر: كان **مسروق** إذا حَدَّث عن[2] عائشة قال: حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات.

وقال **قتادة**: قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رَضِيتُ عليكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم أشراركم ــ رواه الدارمي.

وقال **سليمان التيمي**: لو سُئِلْتُ: أين الله؟ لقلت: في السماء.

وقال **كعب الأحبار**: قال الله عز وجل في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، لا يخفى عليَّ شيء من أعمالهم.

وقال **مقاتل** في قوله تعالى:

﴿ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾ [المجادلة / ٧].

---

(١) في الدرر: «لغيرها».

(٢) في الدرر: «حدثته».

قال: بعلمه يعلم نجواهم ويسمع كلامهم، وهو فوق عرشه وعلمه معهم.

وقال **الضحاك** في الآية: هو الله على العرش وعلمه معهم.

وقال **عبيد بن عمير**: ينزل الرب شطر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد.

وقال **الحسن**: ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب من إسرافيل، وبينه وبينه سبعة حجب، كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، وإسرافيل دون هؤلاء ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة.

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى **الأوزاعي**: قال كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنَّة من صفاته.

وقال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: علماء الصحابة والتابعين[1] الذين حُمِل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية [المجادلة/ ٧].

(١) سقطت من الدرر: «والتابعين».

هو على العرش وعلمه في كل مكـان، وما خـالفهم في ذلك أحـد يُحْتَجُّ بقوله.

وروى أبـو بكر الخَـلَّال في كتاب السنَّـة عن الأوزاعي قال: سئـل **مكحول والزهري** عن تفسير الأحاديث فقالا: أَمِرُّوها كما جاءت.

وروى أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سـألت **الأوزاعي ومالـك بن أنس وسفيـان الثـوري، والليث بن سعـد**، عن الأخبـار التي جـاءت في الصفـات فقالـوا: أَمِرُّوهـا كما جـاءت، وفي رواية فقـالوا: أَمِـرُّوها كمـا جـاءت بلا كيف، فقـولهم رضي الله عنهم أمـروهـا كمـا جـاءت رد على المعطِّلة، وقولهم بـلا كيف رد على الممثّلة. والزهـري ومكحول همـا[1] أعلم التابعين في زمانهم، والأربعـة الباقـون هم أئمة الـدين[2] في عصر تابعي التابعين: فمالك إمام الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام؛ والليث إمام أهل مصر، وسفيان الثوري إمام أهل العراق.

وقال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف وإن رفضـك الناس، وإيـاك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، وقال سفيان الثوري ـ في قوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

قال: علمه.

---

(١) في (أ): «هم».

(٢) سقطت من (ب): «هم»، وفي (أ والدرر): «أئمة الدنيا».

وروى الخلال بإسناد كل رجاله أئمة، عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن[1] عن قوله:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

كيف استوى؟ قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق، وهذا الكلام مروي عن مالك تلميذ ربيعة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال **عبد الرحمن بن مهدي**: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلاَّ ضُرِبت[2] أعناقهم. وابن مهدي هذا هو الذي قال فيه علي بن المديني: لو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت أعلم منه لحلفت.

وروى ابن أبي حاتم عن **سعيد بن عامر الضبعي** أنه ذُكِر عنده الجهمية فقال: هم أشرُّ قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء.

وقال **عباد بن العوام** ــ أحد أئمة الحديث بواسط: كلمت بشر المريسي وأصحابه، فرأيت آخر كلامهم: ليس على العرش شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

---

(١) في الدرر: «ربيعة بن عبد الرحمن».

(٢) في الدرر: «ضربتم».

وقال **علي بن عاصم** شيخ الإمام أحمد: احذروا من المريسي وأصحابه، فإن كلامهم الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم، فلم يُثْبِتْ أن في السماء إلَهاً.

وقال **حماد بن زيد**: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء وكان من أشد الناس على الجهمية.

وقال **وهب بن جرير**: إياكم ورأي جهم وأصحابه، فإنهم يحاولون أَنْ ليس في السماء شيء، وما هو إلاَّ من وحي إبليس، وما هو إلاَّ الكفر.

وقال **عبد العزيز بن يحيى الكناني** صاحب الشافعي، له كتاب في الرد على الجهمية قال فيه: باب قول الجهمي في قول الله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه/ ٥].

(زعمت الجهمية أن معنى استوى استولى).

قال: (فيقال له: هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستولٍ عليه؟ فإذا قال: لا، قيل له: فمن زعم ذلك فهو كافر، فيقال له[1]: يلزمك أن تقول إنَّ العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستولٍ عليه، وذلك لأنه أخبر سبحانه وتعالى أنه خلق العرش قبل السموات والأرض، ثم استوى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المدة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستولٍ عليه فيها) ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه.

(١) في الدرر: «ويقال».

وقال عبد الله بن الزبير **الحميدي** شيخ البخاري: وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤].

ومثل قوله:

﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وما أشبه هذا من القرآن والحديث، لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنَّة، ونقول:

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي.

وروى ابن أبي حاتم قال: جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال: تنهاني عن الكلام، وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون؟ فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان، فبعث أبو يوسف وقال: عليَّ بهم، فانتهوا إليه، وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول والشيخ الآخر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ فقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك؟ وأمر به إلى الحبس وضرب علياً الأحول وطَوَّف به، وقد استتاب أبو يوسف بشراً المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه، وهي قصة مشهورة ذكرها ابن أبي حاتم وغيره، وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون على هذا.

وقـال **محمـد بن الحسن**: اتفق الفقهـاء كلهم من المشـرق إلى المغـرب على الإيمان بـالقرآن والأحـاديث التي جـاءت بهـا الثقـات عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في صفة الرب عـز وجل من غيـر تفسير، ولا وصف ولا تشبيـه فمن فَسَّر شيئاً من ذلك فقـد خرج مما كـان عليـه النبـي صلَّى الله عليـه وسلَّم؛ وفـارق الجمـاعـة كلهم فـإنهم لم يصفـوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنَّة ثم سكتوا، فمن قـال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وقـال محمد أيضـاً في الأحـاديث التي جـاءت: (إن الله يهبط إلى السماء الدنيـا)[1] ونحو هـذه الأحاديث قـد رواها الثقـات فنحن نؤمن بها ولا نفسرها ــ ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي.

وقال **سفيان بن عيينة** وقد سئل عن حديث (إن الله يحمل السموات على أصبـع)[2] وحـديث (القلوب بين أصبعين من أصـابـع الـرحمن)[3] فقال سفيان: هي كما جاءت نُقِرُّ بها ونحدث بها بلا كيف.

وذكـر ابن أبـي حـاتم بـإسنـاده عن **الأصمعي** قـال: قـدمت امـرأة جهم، فقال رجل عندها: الله على عرشه فقالت: محدود على محـدود،

---

(١) حديث النزول متواتر، وقد سبق في أول هذا الكتاب ذكره.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير من صحيحـه (٩/٥٥٠ ــ ٥٥١)، والتوحيـد. وأخرجـه مسلم في أحكام المنافقين (٤/٢١٤٧ ــ ٢١٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في القدر من صحيحه (٤/٢٠٤٥).

ووقع في الدرر: «القلب».

فقال الأصمعي: هذه كافرة بهذه المقالة، أما هذا الرجل وامرأته فما أولاهما بأن:

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾ [المسد/ ٣ ــ ٤].

وقال إسحاق بن راهويه إمام أهل المشرق نظير أحمد ــ وقيل له: ما تقول في قوله تعالى:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة/ ٧].

قال: (حيثما كنت فهو أقرب إليك، من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه). ثم قال: (وأعلى شيء في ذلك وأثبته قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه/ ٥].

وروى الخلال في كتاب السنة قال: قال إسحاق بن راهويه: قال الله:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه/ ٥].

إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى[1] ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة في قعور البحار، وفي كل موضع كما يعلم ما في السموات السبع وما دون العرش أحاط بكل شيء علماً.

وقال قتيبة بن سعيد: هذا قول أئمة الإسلام والسنة والجماعة:

---

(١) سقط من (أ و ب) جملة: «إجماع . . . استوى».

نعرف ربنا بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه/ ٥].

وقتيبة هذا أحد أئمة الإسلام، وحفاظ الحديث.

وقال **عبد الوهاب الورَّاق**: من زعم أن الله ها هنا فهو جهمي خبيث، إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة ـ صح ذلك عنه، وهو الذي قال فيه الإمام أحمد، وقد قيل له: من نسأل بعدك؟ فقال عبد الوهاب.

وقال **خارجة بن مصعب**: الجهمية كفار أَبْلِغْ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم ثم تلى ﴿طه﴾ إلى قوله:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

وقال عبد الرحمن بن **أبي حاتم**: سألت أبي **وأبا زرعة** عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدون من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار[١] حجازاً وعراقاً ومِصْراً وشاماً ويمناً، فكان مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه؛ بائن من خلقه كما وصف نفسه وعلى لسان رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم بلا كيف، وأحاط بكل شيء علماً.

(١) سقطت من (ب) جملة: «وما يعتقدون... الأمصار»، وفي الدرر: «فقال: أدركنا».

وقال أبو زرعة أيضاً: هو على العرش استوى وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله.

وقال **علي بن المديني** ـ الذي سماه البخاري سيد المسلمين ـ وقيل: ما تقول الجماعة في الاعتقاد فقال: يثبتون الكلام والرؤية؛ ويقولون: إن الله على العرش استوى، فقيل له: ما تقول في قوله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

فقال: اقرأ أول الآية، يعني بالعلم لأن أول الآية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾.

وقال **عبد الله بن المبارك**: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه لا نقول كما قالت الجهمية. رواه عنه الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد.

وصح عن ابن المبارك أيضاً أنه قال: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وقال **نعيم بن حماد الخزاعي** الحافظ في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

معناه أنه لا يخفي عليه خافية بعلمه، ثم تلى قوله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ **الآية** [المجادلة/ ٧].

وقال محمد بن إسماعيل البخاري سمعت نعيم بن حماد يقول: من شَبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً.

فصل
في ذكر أقوال الأئمة الأربعة
رضي الله عنهم

ذكر قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

روى البيهقي في كتاب الصفات عن نعيم بن حماد قال: سمعت نوح بن أبي مريم يقول: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ وكانت تجالس جهماً فدخلت الكوفة، فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتته، فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركتَ دينك أين إلهك الذي تعبد، فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وَضع كتاباً أن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

قال: هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه.

ثم قال البيهقي لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله

عز وجل من الكون في الأرض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية واتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء.

وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور المروي بالأسانيد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو الأرض قال: قد كفر، إن الله تعالى يقول:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وعرشه فوق سمواته. فقلت: إنه يقول: أقول إنه على العرش، ولكنه قال: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض! قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر، لأن الله تعالى في أعلى عليين وأنه يُدْعى من أعلى لا من أسفل.

وفي لفظ: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض قال: قد كفر لأن الله تعالى يقول:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وعرشه فوق سبع[1] سمواته.

روى هذا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب (الفاروق).

---

(١) سقطت من الدرر: «سبع».

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين بن قدامة: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.

فتأمل هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كَفَّر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، فكيف يكون حكم الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج أبو حنيفة على كفره بقوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

بين أن الله فوق السموات فوق العرش فقال: وعرشه فوق سمواته، وبَيَّن بهذا أن قوله:

﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فوق العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الأرض قال: لأنه أنكر أن يكون الله في السماء وأن الله في أعلى عليين وأنه يُدْعَى من أعلى لا من أسفل.

وكذلك[1] أصحاب أبي حنيفة من بعده كأبي يوسف ومحمد ـ كما قدَّمنا ما رُوي[2] عنهم ـ وكذلك هشام بن عُبيد الله[3] كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الإسلام بإسنادهما أن هشام بن عبيد الله صاحب

---

(١) في الدرر: «وذكر أصحاب».

(٢) في الدرر: «روينا».

(٣) في الدرر: «عَبْد الله».

محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلاً في التجهم، فتاب، فجيء به ليمتحنه، فقال: الحمد الله على التوبة فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب.

وسيأتي كلام الطحاوي إن شاء الله تعالى.

وفي الفقه الأكبر أيضاً عن أبي حنيفة: لا يوصف الله بصفات المخلوقين، ولا يقال: إن يده قدرته ولا نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف.

وقال في الفقه الأكبر:

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح/ ١٠].

ليست كأيدي خلقه، وهو خالق الأيدي جل وعلا، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفوس خلقه، وهو خالق النفوس.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

وقال في الفقه الأكبر أيضاً: وله تعالى يد ووجه ونفس بلا كيف، ذكر الله تعالى في القرآن وغضبه ورضاه وقضاه وقدرته من صفاته تعالى بلا كيف ولا يقال غضبه عقابه، ولا رضاه ثوابه انتهى.

---

(١) في (ب): «فجاء»، وفي الدرر: «فجائه».

ذكر قول الإمام مالك بن أنس
إمام دار الهجرة رضي الله عنه

قال عبد الله بن نافع: قال مالك بن أنس: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء ـ رواه عبد الله بن الإمام أحمد.

وروى أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلاَّ مبتدعاً.

فأمر به أن يخرج.

وتقدم عن شيخه ربيعة مثل هذا الكلام، فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، موافق لقول الباقين: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ولما قالوا: أَمِرُّوها بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي الكيفية إذا أُثْبِتَتْ الصفات، وأيضاً فإن من ينفي الصفات

لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف، فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف، وأيضاً فقولهم: أَمِرُّوها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معانٍ فلو كانت دلالتها[1] منفية لكان الواجب أن يقال أَمِرُّوها لفظها، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو يقال أَمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّتْ كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول.

قال الذهبي بعد ما ذكر كلام مالك وربيعة الذي قدمناه: وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه، وأنه كما يليق به، ولا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما قد وقف السلف ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إليه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مِثْل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله ــ سبحانه وتعالى ــ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقد تقدم ما رواه الوليد بن مسلم عن مالك بما أغنى عن إعادته.

وقال أبو حاتم الرازي: حدثني ميمون بن يحيى البكري قال: قال مالك: من قال القرآن مخلوق يستتاب، فإن تاب وإلَّا ضُرِبَتْ عنقه.

---

(١) سقطت من (ب) جملة: «على ما هي عليه. . . دلالتها»، وفي (أ): «ألفاظ».

ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري[1] عن أبي شعيب وأبي ثور وكلاهما عن محمد بن إدريس ـ رحمه الله قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء.

وذكر سائر الاعتقاد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول ـ وقد سُئِل عن الصفات وما يؤمن به ـ فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة رَدّها، لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف أحد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، وأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يُدْرَكُ بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلَّا بعد انتهاء الخبر إليه بها؛ ونُثْبِتُ هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه كما نفى سبحانه التشبيه عن نفسه فقال:

---

(١) في النسخ: «المكاري».

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

وصح عن الشافعي أنه قال: خلافة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوب عباده ــ انتهى.

ومعلوم أن المقضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه للتضمن لمشيئته وقدرته، وقال في خطبة رسالته: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه.

ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

قال الخلال في كتاب السنة: حدثنا يوسف بن موسى قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال: نعم لا يخلو[1] شيء من علمه.

قال الخلال: وأخبرني الميموني قال: سألت أبا عبد الله عمن قال: إن الله ليس على العرش، فقال: كلامهم كله يدور على الكفر.

وقال حنبل: قيل لأبي عبد الله: ما معنى قوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

---

(١) في الدرر: «لا يخلوا».

وقوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال أبو طالب: سألت أحمد عن رجل قال إن الله معنا وتلى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

قال: يأخذون بآخر الآية ويَدَعون أولها، هَلَّا قرأت عليه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

بالعلم معهم وقال في سورة (ق):

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله إن رجلاً يقول: أقول كما قال الله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية قلت: فكيف تقول:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾؟.

قال: علمه في كل مكان وعِلْمه معهم، وقال: أول الآية يدل على أنه علمه.

وقال في موضع آخر: وأن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى، وأنه غير مختلط بشيء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه[1] بائنون منه.

وقال في كتاب الرد على الجهمية الذي رواه الخلال، وقال: كتبت[2] هذا الكتاب من خط عبد الله بن الإمام أحمد، وكتبه عبد الله من خط أبيه قال فيه: (باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش). وقد قال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه/ ٥].

قلنا لهم: ما أنكرتم أن يكون الله على العرش، فقالوا: هو تحت الأرض السابعة كما هو تحت العرش وفي السموات وفي الأرض. قال أحمد: فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء: أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها شيء من عظمته، وقد أخبرنا الله عز وجل أنه في السماء، فقال:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآيتين [الملك/ ١٦ و ١٧].

---

(١) سقطت كلمة: «خلقه» من جميع النسخ، والمثبت من «اجتماع الجيوش».

(٢) في النسخ: «كتب».

وقال:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر/ ١٠].

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران/ ٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء/ ١٥٨].

وقال أيضاً في الكتاب المذكور: ومما أنكرت الجهمية الضُلَّال أن الله على العرش وقد قال تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقال:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤ وغيرها].

ثم ساق أدلة القرآن، ثم قال:

ومعنى قوله:

﴿هُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام/ ٣].

يقول: هو إله مَنْ في السموات وإله مَنْ في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو[1] من علمه مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، وذلك لقوله تعالى:

﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

(١) في الدرر: «يخلوا».

قال الإمام أحمد: ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير وفيه شيء، كان نظر(١) ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق علماً من غير أن يكون في شيء مما خلق.

قال: مما تأولت الجهمية من قول الله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

فقالوا: إن الله معنا وفينا، فقلنا لهم: قطعتم الخبر من أوله لأن الله افتتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه.

قال أحمد: وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس شيئاً؟ فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضاً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر، وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة.

قال أحمد: وقلنا للجهمية حين زعمتم أن الله في كل مكان أخبرونا

---

(١) سقطت من الدرر: «نظر»، وفي (أ و ب): «يصح» والمثبت من الاجتماع.

عن قول الله عز وجل:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

أكان في الجبل بزعمكم، فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له، بل كان سبحانه على العرش، فتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئاً ما رآه قط قبل ذلك.

انتهى كلام الإمام أحمد الذي نقلناه من كتاب الرد على الجهمية.

وروى الخلال عن حنبل قال: قال أبو عبد الله ـ يعني أحمد: نؤمن أن الله على العرش بلا كيف بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحدّه حادّ؛ وصفات الله له ومنه وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحدّ ولا غاية.

وقال حنبل أيضاً: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي: (إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا)، و(إن الله يُرَى في الآخرة) و(إن الله يضع قدمه) وأشباه هذه الأحاديث، فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق، ولا نَرُدُّ منها شيئاً، ونعلم أنَّ ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

وقال حنبل في موضع آخر عن أحمد: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة لنفسه فحدَّ لنفسه صفة، ليس

يشبهه شيء[1]، وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلَّا بما وصف به نفسه قال[2]: فهو سميع بصير، بلا حدّ، ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه بما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ونؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه، ولا نزيل صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيمة ووضع كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه يُرَى في الآخرة والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلَّا بما وصف به نفسه، سميع بصير، لم يزل متكلماً، عليم غفور.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام/ ٧٣ وغيرها].

﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٠٩ و ١١٦ وغيرها].

فهذه صفات وصف بها نفسه لا تُدْفَعُ ولا تُرَدُّ، وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/ ١١].

وهو: ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ وغيرها]، وهو سميع

(١) في الدرر: «يشبه شيئاً».

(٢) في الدرر: «فقال».

بصير، بلا حد ولا تقدير، ولا نتعدي القرآن والحديث، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة.

قلت له: المشبهة ما تقول؟ قال: من قال بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي فقد شَبَّه الله بخلقه انتهى.

وكلام الإمام أحمد رحمه الله في هذا كثير، فإنه امْتُحِن بالجهمية.

رضي الله عنه وعن إخوانه من أئمة الدين.

فصل

قد بَيَّنَّا فيما تقدم عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ أسكنه الله الفردوس يوم المآب، وبيّنا عقيدته هو وأتباعه عقيدة السلف الماضين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين الذين رفع الله منارهم في العالمين وجعل لهم لسان صدق الآخرين.

فشيخنا رحمه الله وأتباعه.

يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا يتجاوزون القرآن والحديث لأنهم متبعون لا مبتدعون، فلا[1] يكيفون ولا يشبهون ولا يعطلون، بل يثبتون جميع ما نطق به الكتاب من الصفات وما وردت به السنَّة مما رواه الثقات: يعتقدون أنها صفات حقيقة منزهة عن التشبيه والتعطيل كما أنه سبحانه له ذات حقيقة منزهة عن التشبيه والتعطيل، فالقول عندهم في الصفات كالقول في الذات، فكما أن ذاته ذات حقيقة لا تشبه الذوات، فصفاته صفات حقيقة لا تشبه الصفات، وهذا هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة الدين، وهو مخالف لاعتقاد المشبهين واعتقاد المعطلين فهو كالخارج:

(١) في الدرر: «ولا».

﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ ﴾ [النحل/ ٦٦].

فهو وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

فلما قررنا عقيدتنا في أول الجواب، وأوردنا على ذلك الأدلة من الكتاب والسنَّة أَتْبَعنا ذلك بفصل ذكرنا فيه بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين وتابعيهم يؤيد ما ذكرناه ويحقق ما قلناه، لأنهم مصابيح الدين وقدوة العالمين، وهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي، فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد شاهدوا نزول القرآن ونقلوه إلينا وفَسَّروه، فهم قد تلقوا ذلك عن نبيهم صلَّى الله عليه وسلَّم وتلقاه عنهم التابعون؛ فتعلموا من الصحابة ألفاظ القرآن ومعانيه، فنقلوا عنهم تأويله كما نقلوا تنزيله، ونقلوا الأحاديث الواردة في الصفات، ولم يتأولوها كما تأولها النفاة، بل أثبتوها صفات حقيقة لرب العالمين، منزهة عن تعطيل المعطلين وتشبيه المشبهين، فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أَبَرُّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، وهم سادات الأمة وكاشفوا الغمة، فالمسلمون بهديهم يهتدون، وعلى منهاجهم يسلكون، ثم إنَّا لما نقلنا كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم أَتْبعناه بفصل ذكرنا فيه كلام الأئمة الأربعة، أئمة المذاهب المتبعة ليتبين صحة ما قلناه وما إليهم نسبناه ويعلم من كان قصده الحق أن الأئمة على عقيدة واحدة مجمعون، وللسلف الصالح متبعون، فلما تبين ما قلناه، واتضح ما قررناه أحببت أن أختم هذا الجواب بفصل أذكر فيه بعض ما قاله العلماء بعدهم ليعلم الواقف على هذا الجواب أن هذا الاعتقاد الذي ذكرناه هو اعتقاد أهل

السنَّة والجماعة قاطبة ـ متقدميهم ومتأخريهم، لأن إجماعهم حجة قاطعة لا تجوز مخالفته، فكيف وقد شهدت له النصوص القرآنية والسنَّة النبوية، وقد قال تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

فصل

قال الإمام حافظ الشرق وشيخ الإسلام **عثمان بن سعيد الدارمي**، في كتاب النقض على بشر المريسي، قال الذهبي: وهو مجلد سمعناه من أبي حفص ابن[1] القَوَّاس، قال فيه:

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين على أن الله فوق عرشه فوق سمواته، لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض. . ، . . . ولم يَشُكُّوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم وتشقق السموات لنزوله. . . . فلما لم يَشُكَّ المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علموا يقيناً أنَّ ما يأتي[2] الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه، فقوله[3]:

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل/ ٢٦].

وإنما هو أَمْرُه وعذابه.

---

(١) سقطت من جميع النسخ «بن»، والمثبت من العلو.

(٢) في الدرر: «إنما يأت».

(٣) في الدرر: «كقوله».

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب[1] وقد ذكر الحلول: ويحك[2] هذا المذهب أنزه[3] لله من السوء عن مذهب من يقول[4]: هو بكماله وجماله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته، فوق جميع الخلائق، في أعلى مكان، وأظهر مكان؛ حيث لا خلق هناك ولا إنس ولا جان، أي الحزبين أعلم بالله وبمكانه[5]، وأشد تعظيماً وإجلالاً له.

وقال في هذا الكتاب: علمه بهم من فوق عرشه[6] محيط وبصره فيهم نافذ وهو بكماله فوق عرشه... ومع بُعْد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما في الأرض.

وقال في موضع آخر: والقرآن كلام الله، وصفة من صفاته، خرج منه كما شاء أن يخرج، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق، وهو بكماله على عرشه.

وقال في موضع آخر ـ وقد ذكر حديث البراء بن عازب الطويل في شأن الروح وقبضها وفيه فتصعد روحه حتى تنتهي إلى السماء السابعة،

(١) في الدرر: «انتهى من هذا الكتاب».
(٢) في الدرر: «وحكى».
(٣) في الدرر: «أنزاه».
(٤) في الدرر: «يقول به».
(٥) سقطت «بمكانه» من جميع النسخ، والمثبت من الاجتماع.
(٦) سقطت من (ب) جملة: «وأشد... علمه بهم من»، وسقطت من الدرر كلمة «من فوق عرشه»، وفي (ب): «فوق العرش».

وذكر الحديث ـ ثم قال: وفي قوله:

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف/ ٤٠].

دلالة ظاهرة أن الله فوق السماء لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عُرِج بالأرواح والأعمال ولما أغلقت أبواب السماء عن قومٍ وفتحت لآخرين.

وقال في موضع آخر: ولكنا نقول رب عظيم وملك كبير نور السموات والأرض، وإلّه السموات والأرض، على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن، من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه.

قال: وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين على أن الله في السماء، وعرفوه بذلك، إلاَّ المريسي وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث.

وساق حديث حصين: (كم تعبد) قال: ستة في الأرض وواحداً في السماء فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (من الذي تعده لرغبتك ورهبتك) قال: الذي في السماء.

وقال أيضاً في قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للجارية [أين الله؟] فيه تكذيب لمن يقول هو في كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين بل يستحيل أن يقال أين هو، والله فوق سمواته بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلّهه الذي يعبده.

هذا كله كلام عثمان بن سعيد في كتابه المذكور، وهو قال فيه أبو الفضل القَرَّاب: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ولا رأى عثمان مثل نفسه، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي، والحديث عن يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأثنى عليه أهل العلم.

وقال الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه

لما روى حديث أبي هريرة ـ وهو حديث منكر، قاله الذهبي ـ : «لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله» قال: معناه لهبط على علم الله قال: وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه[1].

وقال في حديث أبي هريرة: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه): قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قالوا: ثبتت الروايات في هذا ونؤمن به ولا نتوهم ولا نقول كيف، هكذا رُوي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك، قالوا في هذه الأحاديث: أَمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنَّة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسرها أهل

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحديد (٥/٤٠٣ ـ ٤٠٤) وقال: (هذا حديث غريب من هذا الوجه).

العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده وأن معنى اليد ها هنا النعمة، وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيدي أو مثل يدي أو سمع كسمعي فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع وكسمع فهذا لا يكون تشبيهاً، قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

هذا كله كلام الترمذي(١).

وقال الإمام
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

في كتاب (صريح السنّة)(٢): وحسب امرىءٍ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر.

وقال في تفسيره الكبير في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

قال: علا وارتفع.

وقال في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت/ ١١].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة (٣/ ٤١ ـ ٤٢).

(٢) ط دار الخلفاء ص (٢٧).

عن الربيع بن أنس أنه يعني ارتفع.

وقال في قوله عز وجل:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر/ ٣٦ ـ ٣٧].

يقول: وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا.

وتفسيره هذا مشحون بأقوال السلف على الإثبات.

وقال في كتاب (التبصير في معالم الدين): القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً، وذلك نحو إخباره أنه سميع بصير وأن له يدين بقوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤].

وأن له وجهاً بقوله:

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن/ ٢٧].

وأن له قدماً بقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (حتى يضع رب العزة فيها قدمه)[١] وأنه يضحك بقوله: (لقي الله وهو يضحك إليه)[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد ـ باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ (١٣/ ٤٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨٦).

(٢) أحاديث الضحك متواترة، وهي مخرجة في البخاري ومسلم وغيرهما، ومجموعة في كتب السنّة والأسماء والصفات.

وأنه (يهبط إلى سماء الدنيا)[1] يخبر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك، وأن له إصبعاً بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: (ما من قلب إلاَّ وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن)[2] فإن هذه المعاني التي وصفت، ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر، والروِيَّة لا نكفِّر بالجهل بها أحداً إلاَّ بعد انتهائها.

ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلى في كتاب (إبطال التأويل).

ومن أراد معرفة أقوال السلف التي حكاها عنهم في تفسيره فليطالع كلامه عند تفسير قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

وقوله:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وقوله:

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى/ ٥].

---

(١) و (٢) سبق تخريجهما.

وقال إمام الأئمة

أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة:

من لم يُقِرَّ بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته[1]، بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلاَّ ضُرِبَتْ عنقه وأُلْقِي على مزبلة، لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة.

ذكر قول إمام الشافعية في وقته

أبي العباس بن سُرَيْج[2]

رضي الله عنه

ذكر أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني في جوابات المسائل التي سئل عنها بمكة فقال: الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وعلى كل حال، وصلَّى الله على محمد المصطفى وعلى الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل، سألت ـ أيدك الله بتوفيقه ـ بيان ما صح لديَّ من مذهب السلف، وصالحي الخلف في الصفات الواردة في الكتاب والسنَّة، فاستخرتُ الله وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء، وهو أبو العباس بن سريج ـ رحمه الله، وقد سُئِل عن[3] مثل هذا السؤال فقال:

---

(١) في الدرر: «سموات».

(٢) في الدرر: «أبو»، وسقطت من (أ، ب)، وفي (ب): «شريح».

(٣) سقطت من الدرر و (ب): «عن».

أقول وبالله التوفيق:

حرامٌ على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تَحُدَّه، وعلى الظنون أن تقطع[1]، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الأفكار أن تحيط، وعلى الألباب أن تصف إلَّا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة؛ والسنَّة والجماعة، من السلف الماضين والصحابة والتابعين، من الأئمة المهديين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الله وفي[2] صفاته التي صححها أهل النقل: يجب على المرء المسلم الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مِثْل:

قوله سبحانه:

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة/ ٢١٠].

وقوله:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر/ ٢٢].

---

(١) في الدرر و (أ): «تقع».

(٢) سقطت من الدرر و (أ): كلمة «في الله».

وقولـه:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه/ ٥].

وقولـه:

﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

ونـظائرهـا ممـا نـطق بـه القـرآن كـالفـوقيـة، والنفس، واليـدين، والسمـع، والبصـر، والكـلام، والعين، والنـظر، والإرادة، والـرضـا، والغضب، والمحبة، والكراهـة، والعنايـة، والقرب، والبعـد، والسخط، والاستجابة، والدنو كقـاب قوسين أو أدنى، وصعـود الكلام الـطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، ونـدائه الأنبيـاء، وقولـه للمـلائكة، وقبضـه وبسطه، وعلمـه، ووحـدانيتـه، وقـدرتـه، ومشيئتـه، وصمدانيته[1]، وفردانيته، وأوليته وآخريتـه، وظاهـريته وبـاطنيته، وحيـاته وبقائه، وأزليته ونوره، وتجليه، والوجه، وخلق آدم بيده، ونحو قوله:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك/ ١٦ و١٧].

وسمـاعـه من غيـره، وسمـاع غيـره منـه، وغيـر ذلـك من صفـاتـه المذكورة في كتـابه المنـزَّل، وجميع مـا لفظ به المصـطفى من صفاتـه: كغـرس جنة الفـردوس بيده وشجـرة طـوبـى بيـده، وخَطَّ التـوراة بيـده،

---

(١) في (أ، ب): «صمديته».

والضحـك والتعجب، ووضعه القـدم، وذكر الأصـابع، والنـزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وكَغَيْرتـه، وفرحـه بتوبـة العبد، وأنـه ليس بأعـور، وأنه يُعْرِض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين، وحـديث القبضتين، وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وأنه يوم القيامـة يحثو[1] ثلاث حثيات من حثياته فيدخلهم الجنة، وحديث القبضة التي يُخْـرِج بها من النـار قـومـاً لم يعملوا خيـراً قط، وحـديث (إن الله خلق آدم على صـورته)، وفي لفظ: (على صـورة الرحمن)، وإثبـات الكلام بـالحـرف والصوت وكلامه للملائكـة ولآدم ولموسى ومحمـد وللشهداء، وللمؤمنين عند الحساب، وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، وما أَذِن الله لشيء كأذنه[2] لنبـي يتغني بالقرآن، وصعـود الأقوال والأعمال والأرواح إليـه، وحديث معـراج الرسـول صلَّى الله عليه وسلَّم ببـدنه ونفسـه، وغير هـذا مما صـح عنـه صلَّى الله عليـه وسلَّم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنـا مما صح عنه اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابه في القرآن.

أن نقبلها، ولا نَرُدَّها، ولا نتأولهـا بتأويـل المخالفين، ولا نحملهـا على تشبيـه المشبهين، ولا نزيـد عليها، ولا ننقص منهـا، ولا نفسـرهـا، ولا نكيِّفهـا، ولا نشير إليهـا بخواطـر القلوب، بـل نـطلق مـا أطلقـه الله،

(١) في النسخ: «يحثوا».

(٢) في الدرر: «إذنه».

ونفسر ما فَسَّره النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا عليه، ونُمسك عما أمسكوا عنه، ونسلِّم الخبر لظاهره، والآية لظاهرها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية، والملحدة، والمجسمة، والمشبهة والكرَّامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول سُنَّة وابتغاء تأويله بدعة.

هذا آخر كلام أبي العباس بن سريج الذي حكاه أبو القاسم الزنجاني في أجوبته.

ذكر قول الإمام الطحاوي إمام الحنفية في وقته في الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف، قال في عقيدته المعروفة عند الحنفية:

ذكر بيان اعتقاد أهل السنَّة والجماعة على مذهب فقهاء الملّة أبي حنفية، وأبي يوسف، ومحمد رضي الله عنهم.

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مِثْله، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفيةٍ قولاً، وأنزله على نبيه وحياً، وصَدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ والرؤية لأهل الجنة حق، بغير إحاطة ولا كيفية،

وكل ما جاء[1] في ذلك من الصحيح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا[2]، ولا تثبت[3] قدم الإسلام إلَّا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حُظِر عنه علمه[4] ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه خالص التوحيد وصحيح الإيمان، ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه.

إلى أن قال: والعرش والكرسي حق، كما بَيَّن في كتابه، وهو مستغنٍ عن العرش، وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه.

وذكر سائر الاعتقاد.

ذكر قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلّاب إمام الطائفة الكُلَّابية

وكان من أعظم الناس إثباتاً للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه، منكراً لقول الجهمية وهو أول من عُرِف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب، وأن القرآن معنى قائم بالذات، وهو أربع معانٍ ونصر

(١) سقطت من (أ و ب): «جاء».

(٢) في الدرر: «بآراءنا».

(٣) في الدرر: «يثبت»، وفي (ب): «نثبت».

(٤) سقطت من جميع النسخ كلمة «عِلْم»، وفي الدرر: «حضر»، وفي (ب): «حصر عند».

طريقته: أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري وخالفه في بعض الأشياء ولكنه على طريقته في إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه، كما سيأتي حكاية كلامه بألفاظه إن شاء الله تعالى.

حكى ابن فورك في كتابه المجرد فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال:

وأخرج من النظر والخبر قول من قال: لا هو في العالم ولا خارجاً منه، فنفاه نفياً مستوياً، لأنه لو قيل له: صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا، ورَدّ أخبار الله أيضاً، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول ثم قال ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته أعلمهم (بالأين) واستصوب قول القائل: إنه في السماء، وشهد له بالإيمان عند ذلك، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون (الأين) ويحيلون القول به، قال: ولو كان خطأ لكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها لا تقولي ذلك فتوهمي أنه محدود، وأنه في مكان دون مكان، ولكن قولي إنه في كل مكان لأنه هو الصواب، دون ما قلتِ، كلا فلقد أجازه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع علمه بما فيه، وأنه من الإيمان بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله؛ ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك، وشاهد له، وقد غرس في بُنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين

منه ولا أوكد، لأنك لا تسأل أحداً من الناس عنه[1] عربياً ولا عجمياً ولا مؤمناً ولا كافراً، فنقول: أين ربك؟ إلَّا قال: في السماء، أفصح أو أومى بيده أو أشار بطرفه، إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير ذلك، ولا رأينا أحداً إذا عنَّ له دعاء إلَّا رافعاً يديه[2] إلى السماء، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية، يُسْأَل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون، وهم يَدَّعون أنهم أفضل الناس كلهم[3]، فتاهت العقول، وسقطت الأخبار، واهتدى جهم وخمسون رجلاً معه! نعوذ بالله من مضلات الفتن.

انتهى كلامه.

ذكر قول الإمام أبي الحسن الأشعري صاحب التصانيف إمام الطائفة الأشعرية

قال في كتابه الذي سماه (اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين)، فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم إلى أن قال:

ذِكْر مقالة أهل السنَّة وأصحاب الحديث.

جملة قولهم الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله

---

(١) في (أ): «لا تسئل»، وسقطت «عنه» من الدرر.

(٢) في الدرر: «الدعاء»، وفيه و (أ): «يده».

(٣) سقطت من الدرر «كلهم».

ومـا رواه الثقات عن رسـول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يَـرُدُّون من ذلـك شيئاً.

وأن الله على عرشه كما قال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وأن له يدين بلا كيف كما قال:

﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص/ ٧٥].

وكما قال:

﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤].

وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

وأقروا أن لله علماً، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة.

ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.

ويصـدِّقون بـالأحاديث التي جـاءت عن رسـول الله صلَّى الله عليـه وسلَّم: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفـر) كما جـاء الحديث.

ويُقِرُّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر/ ٢٢].

وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء.

إلى أن قال: فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويروونه[1]، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلَّا بالله.

وذكر الاستواء في هذا الكتاب المذكور في باب هل الباري تعالى في مكان دون مكان فقال: اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة[2] منها قال أهل السنَّة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء؛ وإنه على العرش استوى كما قال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

ولا نتقدم بين يدي الله بالقول، بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له يدين كما قال:

﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص/ ٧٥].

وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث.

ثم قال: وقالت المعتزلة: استوى على عرشه بمعنى استولى، وتأولوا اليد بمعنى النعمة، وقوله:

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر/ ١٤].

أي بعلمنا.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب جُمَل المقالات:

---

(١) في (ب): «يرونه».

(٢) في الدرر: «سبعة عشر».

هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة:

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من الله وما تلقاه الثقات عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يَرُدُّون شيئاً من ذلك، وأن الله واحدٌ أحد فَرْد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأنه على عرشه كما قال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال:

﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص/ ٥]، وكما قال:

﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال:

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر/ ١٤]، وأن له وجهاً كما قال:

﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن/ ٢٧]، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ من قال بالوقف أو باللفظ فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ويقولون: إن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون.

ثم ساق بقية قولهم.

وقال في هذا الكتاب: وقالت المعتزلة إن الله استوى على عرشه بمعنى استولى هذا نص كلامه.

وقال في هذا الكتاب أيضاً: وقالت المعتزلة في قوله:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

يعني استولى. قال: وتأولتِ اليد بمعنى النعمة وقوله:

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر/ ١٤] أي بعلمنا.

فالأشعري رحمه الله إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية، وصرح بخلافه وأنه خلاف قول أهل السنة.

وقال الأشعري أيضاً في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستوٍ على عرشه كما قال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقال:

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر/ ١٠].

وقال:

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء/ ١٥٨].

وقال حكاية عن فرعون:

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر/ ٣٦ ـ ٣٧].

كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات.

وقال عز وجل:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك/ ١٦].
فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك/ ١٦].

لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السموات، وكان كل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات[١] وليس إذا قال:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

يعني جميع السموات؛ وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات.

قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر، وأنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه، وذهبوا في الاستواء إلى

(١) جملة: «قال أأمنتم... السموات» سقطت من جميع النسخ، والمثبت من (الاجتماع).

القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، وكذا لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال هو مستوٍ على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول أن الله مستو على الأخلية والحشوش فبطل أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء.

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك.

وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام محي الدين النواوي.

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي ينتسب إليه الأشاعرة اليوم، لأنه إمام الطائفة المذكورة كيف صرح بأن عقيدته في آيات الصفات وأحاديثها اعتقاد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين، ولم يحك تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بمعنى النعمة والعين بمعنى العلم إلَّا عن المعتزلة والجهمية، وصرح أنه خلاف قوله لأنه خلاف قول أهل السنة والجماعة، ثم تجد المنتسبين إلى عقيدة الأشعري قد صَرَّحوا في عقائدهم ومصنفاتهم من التفاسير وشروح الحديث بالتأويل الذي أنكره إمامهم، وبَيَّن أنه قول المعتزلة والجهمية وينسبون هذا الاعتقاد إلى الأشعري وهو قد أنكره وردَّه، وأخبر أنه على عقيدة السلف[1] من الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم، وأنه على عقيدة الإمام أحمد كما سيأتي لفظه بحروفه إن شاء الله.

(١) في النسخ: «غير عقيدة».

وأعجب من هذا أنهم يذكرون في مصنفاتهم أن عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أعلم وأحكم! فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء، كيف يجتمع في قلب مَنْ له عقل ومعرفة أن الصحابة أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأنهم الذين شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل وأنهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي، الذين نزل القرآن بلغتهم، وأنهم الراسخون في العلم حقاً، وأنهم متفقون على عقيدة واحدة لم يختلف في ذلك اثنان، ثم التابعون بعدهم سلكوا سبيلهم، واتبعوا طريقهم، ثم الأئمة الأربعة وغيرهم، مثل الأوزاعي والسفيانين وابن المبارك وإسحاق، وغيرهم من أئمة الدين الذين رفع الله قدرهم بين العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين كل هؤلاء على عقيدة واحدة مجمعون ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون، ثم بعد معرفته لهذا وإقراره يقوم في قلبه أن عقيدة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف؟! فسبحان من يحول بين المرء وقلبه، فيهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله:

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٣].

وكيف يكون الخالفون أعلم من السابقين؟! بل من زعم هذا فهو لم يعرف قدر السلف، بل، ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حقيقة المعرفة المطلوبة، فإن هؤلاء الذين يفضلون طريقة الخلف، إنما أُتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم:

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة/ ٧٨].

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع الاحتمالات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة كما قدمناه، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من أهل العلم والإيمان الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى؟ فنسأل[1] الله أن لا يُزِيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا ولإخواننا المسلمين من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

وإنما ذكرنا هذا في أثناء كلام أبي الحسن الأشعري، لأن أهل التأويل اليوم الذين أخذوا بطريقة الخلف ينتسبون إلى عقيدة الأشاعرة، فيظن مَنْ لا علم عنده أن هذا التأويل طريقة أبي الحسن الأشعري وهو ـ رضي الله عنه ـ قد صرح بأنه على طريقة السلف، وأنكر على من تأول النصوص كما هو مذهب الخلف، وذكر أن التأويل مذهب المعتزلة والجهمية.

قال الإمام الذهبي في كتاب (العلو): قال الأستاذ أبو القاسم

---

(١) في الدرر: «الدجا فنسئل».

القشيري: سمعت أبا علي الدقّاق يقول: سمعت زاهر بن أحمد الفقيه يقول: مات الأشعري رحمه الله ورأسه في حِجْري فكان يقول شيئاً في حال نزعه: لعن الله المعتزلة مَوَّهوا ومخرقوا.

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتاب (تبيين كذب المفتري، فيما نُسِب إلى الأشعري):

فإذا كان أبو الحسن ــ رحمه الله ــ كما ذُكِر عنه من حسن الاعتقاد مستصوَب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد، موافقة في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في مذهبه غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن يحكى عنه معتقده على وجهه بالأمانة ليُعْلَم حاله في صحة عقيدته في الديانة، فاسمع ما ذكره في كتابه (الإبانة) فإنه قال:

الحمد لله الواحد العزيز، الماجد المتفرد بالتوحيد، المتمجد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، وليس له مثل ولا نديد.

وساق خطبة رد فيها على المعتزلة، والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، وبَيَّن فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة ــ إلى أن قال:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعَرِّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم وما رُوي عن الصحابة

والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نَضَّر الله وجهه قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وكبير مُفَهَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، لا نَرُدُّ من ذلك شيئاً، وأن الله إله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى مستوٍ على عرشه كما قال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه/ ٥]، وأن له وجهاً كما قال:

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ [الرحمن/ ٢٧]، وأن له يدين كما قال:

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة/ ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال:

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر/ ١٤]، وأن من زعم أن اسم الله غيره

كان ضالاً، وأن لله علماً كما قال:

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء/ ١٦٦]، ونثبت لله قدرة، ونثبت له السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والخوارج والجهمية.

ونقول: إن كلام الله عز وجل غير مخلوق، وإنه لا يكون في الأرض شيء[١] من خير أو شر إلاَّ ما شاء الله، وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة[٢] له كما قال:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات/ ٩٦].

وإن الخير والشر بقضاء الله وقدره.

ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن من قال بخلق القرآن كان كافراً، وندين أن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرَى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

ونقول: إن الكافرين، إذا رآه المؤمنون، هم عنه محجوبون كما قال الله:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين/ ١٥].

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلامٍ إيماناً،

---

(١) في الدرر: «وأنه لا يكون شيء في الأرض».

(٢) في الدرر: «مقدَّرة».

وندين أن الله تعالى مقلِّب القلوب، وأن القلوب بين إصبعين من أصابعه، وأنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية به[1] عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونصدق جميع الروايات التي رواها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب يقول: هل من سائلٍ؟ هل من مستغفرٍ؟، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول إن الله يجيء يوم القيامة كما قال:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر/ ٢٢]، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].

وكما قال:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم/ ٨].

إلى أن قال: ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء، ونحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه باباً وشيئاً شيئاً.

ثم قال ابن عساكر: فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام الذي شرحه وبيَّنه انتهى.

(١) سقطت من الدرر و (أ): «به».

قال شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله: فلم انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خَاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله.

ذكر قول أبي الحسن علي بن مهدي الطبراني المتكلم، تلميذ الأشعري

قال في كتاب (مشكل الآيات) له في باب قوله:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

اعلم أن الله فوق السماء، فوق كل شيء، مستوٍ على عرشه بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء، الاعتلاء كما تقول العرب: استويت على ظهر الدابة واستويت على السطح، بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي، فالقديم جل جلاله عالٍ على عرشه، يدلك على أنه في السماء عالٍ على عرشه قوله:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك/ ١٦].

وقوله:

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران/ ٥٥].

وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه،

مأخوذ من قول العرب: استوى بشر على العراق ـ أي استولى عليها، قال: ويدل على أن الاستواء، ها هنا ليس بالاستيلاء أنه[1] لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يُخَصَّ العرش بالاستيلاء عليه، دون سائر خلقه، إذ هو مستولٍ على العرش وعلى الخلق، ليس للعرش مَزِيَّة على ما وصفته، فبان بذلك فساد قوله، ثم يقال له أيضاً: إن الاستواء ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب: استوى فلان أي استولى، إذا تمكن بعد أَنْ لم يكن متمكناً، فلما كان الباري ـ عز وجل ـ لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكناً[2] لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء.

ثم قال: فإن قيل: ما تقولون في قوله:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك/ ١٦].

قيل له: معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش، كما قال:

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة/ ٢].

بمعنى على الأرض، وقال:

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه/ ٧١].

فإن قيل: ما تقولون في قول الله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام/ ٣].

---

(١) في الدرر: «لأنه».

(٢) سقطت من (ب) جملة: «فلما كان... متمكناً».

قيل له: إن بعض القراء يجعل الوقف في السموات، ثم يبتدىء:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾، وكيف ما كان فلو أن قائلاً قال: فلان بالشام والعراق ملك، لدل على أن ملكه بالشام والعراق، لا أن ذاته فيهما.

ذكر قول الإمام الزاهد أبي عبد الله ابن بطة

قال في كتاب (الإبانة) وهو ثلاثة مجلدات: باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه.

أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، على أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه، فأما قوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

فهو كما قالت العلماء.

واحتج الجهمي بقوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

فقال معنا وفينا، وقد فسر العلماء أن ذلك علمه، ثم قال تعالى في آخرها:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

ثم إن ابن بطة سرد بأسانيده أقوال مَنْ قال إنه علمه، فذكره عن

الضحاك، والثوري، ونعيم بن حماد، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

وكان ابن بطة من كبار الأئمة ـ رضي الله عنه؛ سمع من البغوي وطبقته، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ذكر قول الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، شيخ المالكية في وقته

قال في أول رسالته المشهورة في مذهب الإمام مالك:

وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه قال الإمام أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد لما ذكر قوله: وأنه تعالى[1] فوق عرشه المجيد: معنى فوق وعلى واحد عند جميع العرب ـ ثم ساق الآيات والأحاديث ـ إلى أن قال: وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى فوق كقوله:

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك/ ١٥].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك/ ١٦].

قال أهل التأويل يريد فوقها: وهو قول مالك مما فهمه عن التابعين، مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: أن الله في السماء يعني فوقها، فكذلك قال الشيخ أبو محمد أنه

(١) سقطت من الدرر كلمة: «تعالى».

فوق عرشه، ثم بَيَّن أن عُلُوَّه فوق عرشه إنما هو بذاته بائن عن جميع خلقه، بلا كيف وهو بكل مكان بعلمه لا بذاته، فلا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها ـ انتهى كلام الشارح.

وذكر ابن أبي زيد في كتابه الفرد في السنة تقرير العلو، واستواء الرب على العرش بذاته وقرره أتم تقرير.

وقال في مختصر المدونة: وأنه تعالى فوق عرشه بذاته، فوق سمواته دون أرضه.

قال الحافظ الذهبي لما ذكر قول ابن أبي زيد: (وأنه تعالى فوق عرشه المجيد): قد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي، وكذلك أطلقها يحيى بن عمار واعظ سجستان في رسالته، والحافظ أبو[1] نصر السجزي في كتاب الإبانة له فإنه قال: «وأئمتنا كالثوري ومالك والحمادين، وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان، وكذلك أطلقها ابن عبد البر، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري فإنه قال في أخبار شتى: إن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه، وكذا قال أبو الحسن الكرجي[2] الشافعي تلك القصيدة:

(١) في الدرر: «ابن نصر».
(٢) في (ب): «الكرخي».

عقائدهم أن الإله بذاته
على عرشه مع علمه بالغوائب

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح: هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث.

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ والشيخ عبد القادر الجيلي والفتى عبد العزيز القحيطي وطائفة.

والله تعالى خالق كل شيء بذاته[1] ومدبر الخلائق بذاته بلا[2] معين ولا مؤازر، وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه معنا وبين كونه فوق العرش فهو معنا بالعلم وهو على العرش كما أعلمنا حيث يقول:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدَّمنا وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام.

وكان ابن أبي زيد من العلماء العاملين[3] بالمغرب، وكان يلقب بمالك الصغير وكان غايةً في معرفة الأصول، وقد نقموا عليه في قوله بذاته، فليته تركه.

---

(١) سقط من الدرر: «بذاته».

(٢) في الدرر: «لا».

(٣) في الدرر: «العالمين» و(ب): «الحاملين».

انتهى كلام الذهبي [1].

ذكر قول القاضي
أبي بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري

قال في كتابه (التمهيد في أصول الدين) وهو من أشهر كتبه:

فإن قال قائل: فهل تقولون: إن الله في كل مكان؟ قلنا: معاذ الله، بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقال:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك/ ١٦].

ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان، وفي فمه، وفي الحشوش، والمواضع القذرة التي يُرْغَب عن ذكرها ـ تعالى الله عن ذلك.

ثم قال في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف/ ٨٤].

المراد أنه إله عند أهل السماء، وإله عند أهل الأرض كما تقول العرب: فلان نبيل مطاع في المصرين، أي عند أهلهما، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة.

---

(١) انظر: بعد قليل ترجمة الطلمنكي وقوله.

وقولـه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٨].

يعني بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يُرِدْ أن ذاته معهم تعالى.

وقولـه:

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه/ ٤٦].

محمول على هذا التأويل.

وقولـه:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة/ ٧].

يعني أنـه عالم بهم وبمـا خفي من سـرهم ونجـواهم، وهـذا إنمـا يستعمـل كما ورد بـه القرآن، فلذلـك لا يجوز أن يقـال قياسـاً على هـذا إن الله بالقيروان ومـدينة السـلام ودمشق وإنه مـع الثور والحمـار وإنه مـع الفساق ومع المصعدين إلى حلوان قياساً على قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل/ ١٢٨].

فوجب التأويل على ما وصفنا أولاً.

ولا يجوز أن يكون معنى استـوائه على العـرش هو استيـلاؤه، كما قال الشاعر.

قد استوى بشر على العراق، لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً، وقوله:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن فبطل ما قالوه.

ثم قال: بابٌ فإن قال قائل: ففَصِّلوا لنا صفات ذاته من صفات أفعاله لنعرف ذلك.

قيل له: صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها وهي: الحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والبقاء، والوجه، واليدان، والعينان، والغضب والرضاء، وصفات فعله هي: الخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضل والإنعام، والثواب والعقاب، والحشر والنشر، وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها.

ثم ساق الكلام في الصفات.

وقال في كتاب (الذب عن أبي الحسن الأشعري).

كذلك قولنا[1] في جميع المروي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في صفات الله؛ إذ صح من إثبات اليدين والوجه والعينين ونقول: إن الله يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا كما في الحديث، وإنه مستوٍ على عرشه.

إلى أن قال: وقد بَيّنا دين الأئمة وأهل السنَّة أن هذه الصفات تُمَرُّ كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، ولا تجنيس ولا تصوير كما رُوي عن

(١) في الدرر (أ): «في قولنا».

الزُّهْري، وعن مالك في الاستـواء، فمن تجاوز هـذا فقد تعـدى وابتدع، وضل ــ انتهى.

قال الحافظ شمس الدين الذهبـي لما ذكر كـلامه هـذا: فهذا نص هذا الإمام، وأين مثله في تبحره، وذكائـه وتبصره بـالملل والنحل، فلقـد امتـلأ الوجـود بقومٍ لا يـدرون ما السلف، ولا يعـرفـون إلَّا السلب ونفي الصفات ورَدّها، صم بكم، غتم عجم، يـدعون إلى العقـل ولا يكونـون على النقل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[1].

ذكر قول الإمام أبـي عمر أحمد بن[2] محمد بن عبد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي

قال في كتاب (الأصول) ــ وهو مجلدان:

أجمع المسلمون من أهل السنَّة على[3] أن الله استوى على عرشـه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضاً.

أجمع أهل السنَّة على[4] أن الله على العرش على الحقيقـة لا على

---

(١) في (ب): «توفي القاضي الباقلاني أبو بكر في سنة ثلاث وأربعمـائة، وهـو في عشر السبعين ــ رحمه الله».

(٢) سقطت من الدرر: «أحمد بن».

(٣) سقطت من الدرر: «على».

(٤) سقطت من الدرر: «على».

المجاز ـ ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: وأجمع المسلمون من أهل السنَّة على أن معنى قوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، فإن[1] الله فوق السموات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء.

هذا لفظه في كتابه، فانظر إلى حكاية إجماع المسلمين من أهل السنَّة[2] على أن الله استوى على عرشه بذاته، وأطلق هذه اللفظة غير واحد من أئمة السنَّة، وحكاها كثير من العلماء عن الأئمة الكبار كما تقدم عن الحافظ أبي نصر السجزي وغيره، فكيف نقموها على ابن أبي زيد وحده لما ذكرها في رسالته كما ذكره الذهبي.

وكان الطلمنكي هذا من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس، عاش بضعاً وثمانين سنة، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

---

(١) في (أ): «وأن».

(٢) زاد في (ب): «والجماعة».

ذكـر قول شيـخ الإسلام أبـي عثـمان إسماعيـل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني

قال في رسالته في السنَّة:

ويعتقـد أصحاب الحـديث، ويشهدون أن الله فـوق سبع سمـواتـه على عرشه كمـا نطق بـه كتابـه، وعلماء الأمـة وأعيان الأئمـة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشـه، وعرشـه فوق سمـواته، وإمـامنا الشـافعي احتـج في (المبسوط) في مسـألة إعتـاق الرقبـة المؤمنة في الكفـارة بخبر معـاوية بن الحكم فسـأل رسول الله صلَّى الله عليـه وسلَّم الأمـة السـوداء ليعرف أهي[1] مؤمنة أم لا فقـال لها: (أين ربـك؟) فأشـارت إلى السماء إذ كانت أعجمية فقال: (أعتقها فإنها مؤمنة) حكم بإيمانها لمـا أقرت بـأن ربها في السماء وعرَّفت ربها بصفة العلو والفوقية.

كان الصابوني هذا فقيهاً محدثاً، وصوفياً واعظاً، كان شيخ نيسابور في زمانه، له تصانيف حسنـة، سمع من أصحـاب ابن خزيمـة والسرَّاج، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

---

(١) في الدرر: «أمؤمنة».

ذكر قول الإمام العالم العلّامة حافظ المغرب إمام السنَّة في زمانه أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري الأندلسي صاحب (التمهيد، والاستذكار) والتصانيف النفيسة

قال في كتاب (التمهيد) في شرح الحديث الثامن لابن شهاب:

حديث النزول هذا صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش.

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقوله:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك/ ١٦].

ومعنى:

﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

يعني على العرش. وقد تكون (في) بمعنى (على) ألا ترى إلى قوله:

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة/ ٢].

أي على الأرض وكذلك قوله:

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه/ ٧١].

وهذا يعضده قوله:

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج/ ٤].

وما كان مثله في الآيات، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما دعواهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغلبه أحد، ومن حق الكلام أن يُحْمَل على الحقيقة حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلّا على ذلك، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجلَّ الله أن يخاطب الأمة إلّا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة، مفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله:

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه/ ٥].

قال: علا، وتقول العرب استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي استقر، واحتج بقوله:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص/ ١٤].

أي انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد.

قال ابن عبد البر: والاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل في كتابه[١]:

فقال:

﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ الآية [الزخرف/ ١٣].

وقال:

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون/ ٢٨].

وقال:

﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ [هود/ ٤٤].

وأما من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد، عن عبد الله بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه/ ٥].

استولى على جميع بريته فلا يخلو[٢] منه مكان.

(١) سقطت من الدرر و (أ): «في كتابه».

(٢) في الدرر: «يخلوا».

فالجواب أن هذا حديث منكر ونقلته مجهولون ضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي، وابن مجاهد، فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يُعْرَف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا؟!!

أما سمعوا قول الله تعالى؟

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾ [غافر/ ٣٦ ـ ٣٧].

فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول: إلٰهي في السماء، وفرعون يظنه كاذباً.

فإن احتج بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ [الزخرف/ ٨٤].

وبقوله:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الأنعام/ ٣].

وبقوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

زعموا أن الله في كل مكان بنفسه وبذاته تبارك اسمه وتعالى جده.

قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في

الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إلَه معبود أهل السماء وفي الأرض إلَه معبود أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير، وظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، فالاختلاف في ذلك ساقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

فالإجماع والاتفاق قد بيَّن أن المراد بأنه معبود أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع.

ومن الحجة أيضاً في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر ونزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى. هذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج إلى أكثر من حكايته، وقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم للأَمَة السوداء (أين الله؟) فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: (من أنا؟) قالت: رسول الله قال: (فاعتقها فإنها مؤمنة). فاكتفى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منها برفعها رأسها إلى السماء.

قال: وأما احتجاجهم بقوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية.

قال: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وذكر سنيد عن الضحاك في هذه الآية قال: (هو على العرش، وعلمه معهم أين ما كانوا).

قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله.

وقال عبد الله بن مسعود: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء[1] أخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم.

وقد ذكر هذا الكلام أو قريباً منه في كتاب الاستذكار.

وقال أبو عمر أيضاً:

أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

---

(١) سقط من الدرر و(أ): «سماء».

وقال أيضاً: أهل السنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الـواردة في الكتاب والسنَّة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلَّا أنهم لم يكيّفوا شيئـاً من ذلـك، وأمـا الجهميـة والمعتـزلـة والخـوارج فكلهم ينكـرهـا، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقـرَّ بها مُشَبِّـه، وهـم عند من أقرَّ بها نافون للمعبود.

قال الحافظ الـذهبـي: صدق والله، فـإن من تأول سـائر الصفـات وحمـل ما ورد[1] منهـا على مجاز الكـلام أداه ذلـك السلب إلى تعـطيـل الرب وأن يشابه المعدوم.

ولقد كان أبو عُمر بن عبـد البر من بحـور العلم ومن أئمة الأثـر قَلَّ أن ترى العيون مثله، واشتهر فضله في الأقطار.

مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن ست وتسعين سنة[2].

---

(١) في (ب): «وحمل ما ورد فيها على ما ورد منها».

(٢) في الدرر و (أ): «ست وسبعين سنة»، وسقطت «سنة» من (ب).

ذكر قول الإمام أبي القاسم
عبد الله بن خلف المقرىء الأندلسي

قال في (شرح الملخص) لما ذكر حديث النزول.

وفي هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف[1]، كما قال أهل العلم، ودليل قولهم قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

وقوله:

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وقوله:

﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج/ ٣].

والعروج هو الصعود.

قال مالك بن أنس: الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان.

يريد بقوله: في السماء أي على السماء ــ إلى أن قال: وكل

---

(١) في (ب): «ولا تكيف». وفي حاشية الدرر:
لفظ المماسة مبتدع لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سُنَّة.

ما[1] قدمت دليـل واضح في إبـطال قول من قـال بالمجـاز في الاستواء، وأن الاستـواء بمعنى الإستيلاء، لأن الاستيـلاء في اللغة بعـد المغـالبـة، والله لا يغـالبه أحـد، ومن حق الكلام أن يُحمـل على حقيقتـه حتى تتفق الأمة على أنه أُريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنـا إلَّا على ذلـك، وإنما يُـوَجَّه كـلام الله إلى الأشهـر والأظهـر من وجـوهـه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له[2]، ولو سـاغ ادعاء المجـاز لكل مُـدّعٍ ما ثبت شيء من العبـادات، وجـلَّ الله أن يخـاطب إلَّا بمـا تفهمـه العرب في معهود مخاطباتهـا مما يصـح معناه عنـد السامعين. والاستـواء معلوم في اللغـة، وهو العلو والارتفـاع، والتمكن في الشيء، فإن احتـج أحد علينا[3]، وقال: لو كان كذلك لأشبه المخلوقات، لأن ما أحـاطت به الأمكنة واحتوته[4] فهو مخلوق.

قيل: لا يلزم ذلك، لأنه تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/ ١١].

ولأنه لا يقاس بخلقه كان قبل الأمكنة، وقد صحَّ في العقـول وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم فكيف يقاس على

---

(١) في الدرر: «وكلما».

(٢) في الدرر: «وجوهه. . ادعاء ذلك»، وفي (ب): «السليم».

(٣) في الدرر و (أ): «عليه».

(٤) في الدرر: «واحتوت».

شيء من خلقه أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فإن قال قائل: وصفنا ربنا بأنه كان في الأزل لا في مكان، ثم خلق الله الأماكن فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال، إذا زال عن صفته في الأزل وصار[1] في مكان دون مكان.

قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان، ثم صار في كل مكان فقد تغير عندك معبودك، وانتقل من لا مكان إلى كل مكان.

فإن قال: إنه كان[2] في الأزل في كل مكان كما هو الآن فقد أوجد الأشياء والأماكن معه في أزليته، وهذا فاسد.

فإن قال: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان! قيل له: أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه، لأن كونه في الأزل لا يوجب مكاناً، وكذلك نقلته لا توجب مكاناً، وليس هو في ذلك كالخلق، ولكنا نقول: استوى من لا مكان، ولا نقول: انتقل، وإن كان المعنى في ذلك واحداً كما نقول: له عرش ولا نقول له: سرير، ونقول هو الحكيم[3] ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول: صديق إبراهيم، لأنّا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلَّا ما سمى به نفسه ولا ندفع ما وصف به نفسه، لأنه دَفْعٌ للقرآن.

---

(١) في الدرر و (أ): «صار».

(٢) سقطت من الدرر و (أ): «كان».

(٣) في النسخ: «الحليم»، والمثبت من الاجتماع.

ذكر قول الحافظ أبي بكر الخطيب

رحمه الله تعالى

قال: أما الكلام في الصفات فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذي في ذلك حَذْوه ومثاله، فإذا كان إثبات رب العالمين معلوماً فإنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا تشبه بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/ ١١].

وقوله:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ٤]. انتهى.

قال الحافظ الذهبي: المراد بظاهرها أي لا باطن لألفاظ الكتاب والسنَّة غير ما وُضِعَتْ له، كما قال مالك وغيره: الاستواء معلوم، وكذلك القول في السمع والبصر والكلام والإرادة والوجه ونحو ذلك هذه الأشياء

معلومـة، فلا يُحتـاج إلى بيان وتفسيـر، لكن الكيف في جميعها مجهـول عندنا.

قال: والمتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولَّدة، ما علمتُ أحـداً سبقهم إليها، قالوا: هذه الصفات تُمَرُّ كما جاءت ولا تؤوَّل مـع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرَّع من هذا أن الظاهر يعني به أمران:

أحدهما أنه لا تأويل غير دلالة الخطاب، كما قال السلف الاستـواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها، يعني أنهـا بينة معـروفة واضحة في اللغة، لا يُبْتَغى بها مضائق التـأويل والتحـريف، وهذا هـو[1] مـذهب السلف مع اتفـاقهم أنها لا تشبـه صفات البشـر بوجـه، إذ الباري لا مِثْل له في ذاته، ولا في صفاته.

الثـاني أن ظاهـرها هـو الذي يتشكـل في الخيـال من الصفـة كمـا يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غيـر مراد، فـإن الله فرد صمـد ليس لـه نظيـر، وإن تعددت صفـاتـه؛ فـإنهـا حق، ولكنهـا مـا لهـا مِثْـل ولا نظير، فمن ذا الذي[2] عاينه ونعته لنا.

والله إنا لعاجزون، كالُّون، حائـرون، باهتـون في حدّ الـروح التي فينا، وكيف نعرج كل ليلة إذا[3] توفاها باريها؟، وكيف يـرسلها؟، وكيف

(١) سقطت من الدرر و (أ): «هو».
(٢) سقطت من الدرر و (أ): «ذا»، وفي (ب): «ذي».
(٣) في (أ، ب): «معراج»، وفي (أ، والدرر): «إذْ».

تنتقل بعد الموت؟ وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله؟ وكيف حياة النبيين الآن؟ وكيف شاهد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أخاه موسى يصلي في قبره؟ ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار عليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أَمته[1]، وكيف ناظر موسى أباه آدم؟ وحَجَّه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه؟ وكذلك نعجز عن وصف هيئاتنا في الجنة، ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم؟، وكيفيتها؟، وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني.

فالله أعلى وأعظم؛ وله المثل الأعلى، والكمال المطلق، ولا مِثْل له أصلاً[2]:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

انتهى كلام الذهبي.

توفي الخطيب سنة ثلاث وستين وأربعماية.

ولم يكن ببغداد مثله في معرفة هذا الشأن.

---

(١) في الدرر و (أ): «وأشار إليه»، وسقطت منهما «على أمته». وفي (ب): «مراجعته».

(٢) في جميع النسخ: «وأصلاً»، والمثبت من الاجتماع.

ذكر قول الإمام[1]

عالم المشرق أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي

قال في كتاب (الرسالة النظامية):

اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر:

فرأى بعضهم تأويلها والتزام ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب عز وجل.

والذي نرتضيه ديناً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة. وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتَّبع فلتجر آية الاستواء وآية المجيء وقوله:

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص/ ٧٥] على ذلك.

قال الإمام أبو الفتح محمد بن علي:

دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته،

---

(١) في الدرر: «الأم»!

فقال لنا: اشهـدوا عليَّ أني قد رجعت عن كـل مقالـة قلتها أخـالف فيها ما قال السلف الصالح، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور.

توفي إمام الحرمين سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وله ستون سنة.

وكان من بحور العلم في الأصول والفروع، يتوقد ذكاءً.

ذكر قول الإمـام الحافظ أبـي القـاسم إسماعيـل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهـاني مصنف كتاب (الترغيب والترهيب)

قال في كتاب (الحجة):

قـال علماء السنـة: إن الله عز وجـل على عرشـه بـائن من خلقـه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان.

قال: ورُوي عن ابن عباس في تفسير قوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧].

قال: هو على عرشه وعلمه في كل مكان.

ثم ساق الآثار.

قال: وزعم هؤلاء أن معنى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

أي ملكه وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما لـه بالأمكنـة، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.

قال أهل السنة: استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص، وليس معناه المماسة، بل هو مستوٍ على عرشه بلا كيف، كما أخبر عن نفسه.

قال: وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله بالرؤوس والأصابع إلى فوق[١] فإن ذلك يوجب التحديد، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علوِّ الغلبةِ، لا علو الذات.

وعند المسلمين أن لله علوَّ الغلبةِ، والعلو من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح فثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة[٢].

وفي منعهم الإشارة إلى الله تعالى من جهة الفوق خلاف لسائر الملل، لأن جماهير المسلمين وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة.

وقد أخبر عن فرعون أنه قال:

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر/ ٣٦ ـ ٣٧]، فكان فرعون قد فهم عن

(١) سقطت من الدرر و (أ): «إلى فوق».

(٢) إلى هنا انتهت (ب).

موسى أنه يثبت إلهاً فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطَّلع إليـه، واتهم موسى بالكذب في ذلك.

والجهميـة لا تعلم أن الله فوقهـا بوجـود ذاته، فهم أعجـز فهماً من فرعون، بل وأضل.

وقد صح عن النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم أنه حكم بإيمان الجـارية حين قالت: إن الله في السماء، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك!!

انتهى كلام أبـي القاسم رحمه الله.

توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

ذكـر كـلام الإمـام العـالم العـلامـة أبـي عبـد الله القرطبـي صاحب التفسير الكبير

قال في التفسير قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هذه مسألـة قد بينـا فيها كـلام العلماء في كتـاب (الأسنى في شرح الأسماء الحسنى)، وذكرنا فيها أربعة عشر قولاً ــ إلى أن قال:

وقد كان السلف الأول ــ رضي الله عنهم ــ لا يقولون بنفي الجهـة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نـطق كتابـه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة، وخَصَّ عرشه بذلـك لأنه أعـظم المخلوقات، وإنمـا جهلوا كيفية الاستـواء، فإنـه لا تُعْلَمُ حقيقته كمـا قال الإمـام مالـك: الاستـواء معلوم ــ يعني في اللغة ــ ، والكيف مجهول، والسؤال عن ذلك بدعة.

قال الحافظ الذهبي: وقال القرطبي أيضاً في الاستواء:

الأكثر من المتقدمين والمتأخرين المتكلمين يقولون: إذا وجب تنزيه الباري جلَّ جلاله عن الجهة والتحيز، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة أنه متى اخْتُصَّ بجهة أن يكون في مكان وحيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث؛ هذا قول المتكلمين.

ثم قال الذهبي: قلت نعم، هذا ما اعتمده نفاة الرب عز وجل: أعرضوا عن الكتاب والسنة وأقوال السلف وفِطَر الخلائق، وإنما يلزم ما ذكروه في حق الأجسام، والله تعالى لا مِثْل له، ولازم صرائح النصوص حق، ولكنا لا نطلق عبارة إلَّا بأثر، ثم نقول: لا نُسَلِّم أن كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في حيز وجهة إذ مادون العرش يقال فيه حيز وجهات وما فوقه فليس هو كذلك، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ونقله عنه الأئمة وقالوا ذلك رادّين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد/ ٤].

فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم. فأما القول الثالث للتولد بآخره بأنه تعالى ليس في الأمكنة ولا خارجاً عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق، ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متميزة ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات، ولا خارجاً عن الجهات، ولا، ولا، فهذا شيء لا يُعْقَل ولا يُفْهَم مع ما فيه من مخالفات

الآيات والأخبار، فَفِرَّ بدينك، وإياك وآراء المتكلمين، وآمِنْ بالله وما جاء عن الله على مراد الله وفَوِّضْ أمرك إلى الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

انتهى كلام الذهبي.

ذكر قول الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي صاحب معالم التنزيل

قال عند قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

قال الكلبي ومقاتل: استقر؛ وقال أبو عبيدة صعد وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب الإيمان به.

وقال في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة/ ٢٩].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف ارتفع إلى السماء.

وقال في قوله:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة/ ٢١٠].

الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها، ويكل علمها إلى الله، ويعتقد أن الله منزَّه عن سمات الحدوث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.

وقال في قوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة/ ٧] بالعلم.

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعي، زاهداً ورعاً.

توفي سنة عشر وخمسمائة وقد قارب الثمانين.

قال الحافظ الذهبي لما ذكر قول الكلبي ومقاتل المتقدم: لا يعجبني قوله: استقر، بل أقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم. انتهى كلامه رحمه الله.

وهذا الذي حكاه البغوي عن الكلبي ومقاتل ذكره ابن جرير في قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه/ ٥].

قال: ارتفع وعلا.

وقال الشيخ أبو العباس بن تيمية رحمه الله: وقد عُلِم أن بين مسمى الاستواء والاستقرار والقعود فروقاً معروفة.

ذكر قول الإمام العالم العلامة الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير

قال في تفسيره في سورة الأعراف: وأما قوله:

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فللناس في ذلك المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصلح: مالك والأوزاعي، والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، والظاهر للتبادر إلى

أذهان المشبهين منفيٌّ عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه؛ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شَبَّه الله بخلقه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه[1].

فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ونفى عن الله النقائص، فقد سلك سبيل الهدى.

انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وفيما نقلناه من كلام الأئمة خير كثير، ولو تتبعنا كلام العلماء في هذا الباب لحصل منه مجلد كبير.

وقد أضربنا عن كلام الحنابلة صفحاً فلم ننقل منه إلَّا اليسير، لأنه قد اشتهر عنهم إثبات الصفات، ونفي التكييفات، فمذهبهم بين الناس مشهور، وفي كتبهم مسطور، وكلامهم في هذا الباب أشهر من أن يُذْكَر، وأكثر من أن يُسْطر، ولهذا كان أهل البدع يسمونهم الحَشْوية، لأنهم قد أبطلوا التأويل، واتبعوا ظاهر التنزيل، وخالفوا أهل البدع والتأويل.

[حال المتأخرين]

وأما غيرهم من أهل المذاهب فكثير منهم قد خالفوا طريقة السلف، وسلكوا مسلك الخلف، فلهذا نقلنا كلام أئمة الحنفية والمالكية

(١) في الدرر: «تشبيهاً».

والشافعية، وأئمة أهل الكلام كابن كُلَّاب والأشعري وأبي الحسن بن مهدي والباقلاني، ليعلم الواقف على ذلك أن هؤلاء الأئمة متبعون للسلف يُثْبِتون لله الصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، ويعرف أن هذا الاعتقاد الذي حكيناه عن شيخنا محمد بن عبد الوهاب وأتباعه هو الاعتقاد الحق الذي دل عليه الكتاب والسنَّة وكلام الصحابة وسائر الأمة.

فنحن لا نصف الله إلَّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله؛ لا نتجاوز القرآن والحديث، وما تأوله السابقون الأولون تأولناه، وما أمسكوا عنه أمسكنا عنه، ونعلم أن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وليس كمثله شيء، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزَّه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع الحدوث لامتناع العدم عليه، فلا نمثل صفات الله بصفات الخلق، كما أنّا لا نمثل ذاته بذات الخلق، ولا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نعطل أسماءه الحسنى وصفاته العلى، بخلاف ما عليه أهل التعطيل والتمثيل:

فالمعطِّلون لم يفهموا من صفات الله إلَّا ما هو اللائق بالمخلوق، فشرعوا في نفي تلك المفهومات بأنواع التأويل، فعَطّلوا حقائق الأسماء والصفات، وشبهوا الرب تبارك وتعالى بالجمادات العارية عن صفات الكمال، ونعوت الجلال، فجمعوا بين التعطيل والتمثيل عَطَّلوا أولاً، ومَثّلوا آخراً.

والممثلون عطلوا حقيقة ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وشبهوا صفاته بصفات خلقه، فمَثَّلوا أولاً وعَطَّلوا آخراً.

فمن فهم من نصوص الكتاب والسنَّة في صفات الرب جل وعلا ما يفهمه من صفات المخلوقين، فقد ضل في عقله ودينه وشَبَّه الله بخلقه ـ تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

ومن نفى ظاهر النصوص، وزعم أنه ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله، وأن الله لا صفة له ثبوتية، أو يثبت بعض الصفات كالصفات السبع ويؤوِّل ما عداها، كقوله استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر، وكقوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة/ ٦٤].

أي نعمتاه نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، ونحو ذلك مما قد عُرِف من مذهب المتكلمين، فهؤلاء نفاة الصفات، ومذهبهم مأخوذ عن جهم بن صفوان، فإن أول من حُفِظ عنه إنكار الصفات هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها، فنُسِبت مقالة الجهمية إليه، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وكان انتشار مقالة الجهمية في المائة الثانية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته، وكلام

الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم في ذمه وتضليله كثير جداً.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه، وتلقاها عنه الخلف، ونصروها، وقَرَّروها.

وكثير منهم يحكي القولين: فيذكر مذهب السلف ومذهب الخلف، ثم يقول: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم. فصدق في قوله: مذهب السلفِ أسلمُ، وكذب وافترى في قوله: ومذهب الخلفِ أعلمُ وأحكَمُ، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم كما تقدم تقريره.

فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبنا طريق المنحرفين عن النهج القويم من المغضوب عليهم والضالين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

• • •

الفهارس